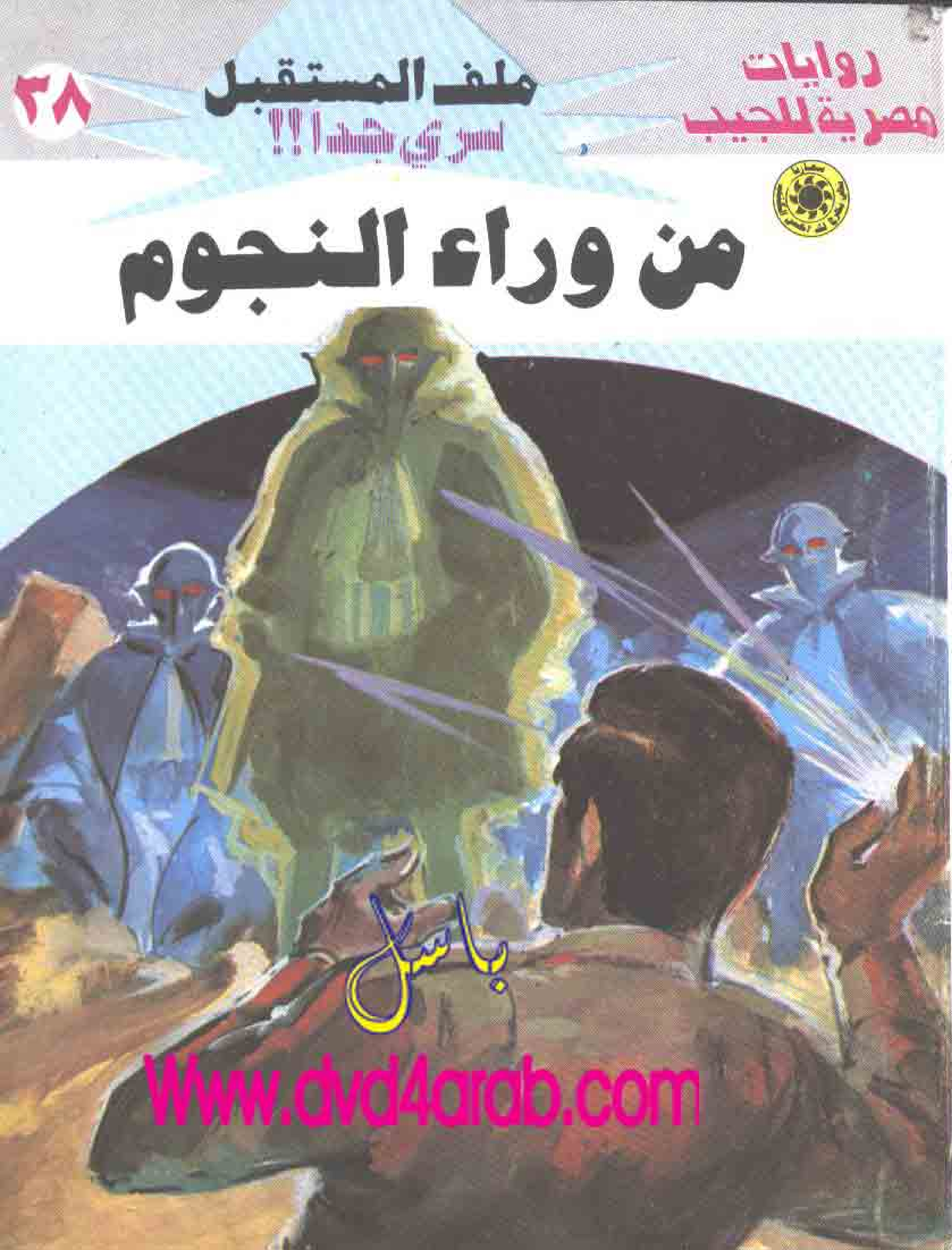

روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جدا!!
٣٨
من وراء النجوم
باسل
Www.dvd4arab.com

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف

د. نبيل فاروق

من وراء النجوم

- تُرَى .. ما مصير كوكب الأرض بعد أن فشل (نور) فى إنقاذه مرتين ؟
- كيف يواجه (نور) هؤلاء الغزاة الزُّرق للمرة الثالثة ، والعالم كله يحاربه ؟
- أتكون هذه هى الجولة الأخيرة ، أم تسقط الأرض فريسة لغزاة قدموا من وراء النجوم ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .

٣٨



الثمن فى مصر
ــــــ

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
بالفجالة . القاهرة . ت ٩٠٨٤٥٥

العدد القادم : الثلوج الساخنة



١ ــ لقاء فى الفجر ..

تمزَّقت أستار الليل الداكنة بخيوط الفجر الأولى ، وتصاعدت زقزقة العصافير ، لتختلط بحفيف الأشجار مع نسمات الصباح ، ونهض والد الرائد (نور) من فراشه ، وتطلَّع فى إشفاق إلى والدة (نور) ، التى جلست صامتة فوق مقعد قريب من النافذة ، تتطلَّع إلى أنوار الفجر فى شرود ، وقد سال من عينيها خيط من دموع ، تألَّقت بالأضواء المعكوسة ..

هبط الوالد من فراشه ، وتقدَّم منها فى هدوء ، ثم ربَّت على كتفها وهو يقول فى إشفاق :

ــ هل ستمضين عمرك كله فى يقظة ؟.. لا بدَّ أن تؤمن بالقضاء الإلهى ، ومادام (نور) قد اختار هذا النَّمط من الحياة المحفوفة بالخطر ، فليس من المفاجئ أن يأتينا خبر وفاته على هذا النحو ..

لم تجبه فورًا ، وإنما جفَّفت خيط الدموع أولًا ، ثم قالت فى تماسك ، ينمُّ عن صلابة وقوَّة :

— لم أعتد بعد على فراقه .. ولا تنس أنه ولدنا الوحيد

قاوم الوالد دمعة جاهدت للخروج من عينيه ، ولكن اعتصارة قوية من الحزن فى قلبه حطمت مقاومته ، وسالت دموعه الصامتة على وجنتيه ، وظهر على أثرها واضحًا فى صوته وهو يقول :

— وكيف يمكننى أن أنسى ؟.. لقد كان (نور) كل شىء بالنسبة لى ، إننى أتخيَّله أحيانًا وهو يُرْوِى الزهور فى الحديقة ، وأتخيَّله يسألنى عن أركان لغز جديد ، ونتشارك معًا فى حل غموضه ..

صمت لحظة يمنع نفسه من الانفجار باكيًا ، ثم أشار إلى باب الحجرة ، وهو يقول :

— أتخيَّله وهو يفتح الباب ، ويدخل إلينا باسمًا يقول

وفجأة .. بتر الوالد عبارته ، وارتجفت أصابعه التى تتكئ على كتف الوالدة ، وبدا انفعاله صادقًا واضحًا ، حتى لقد خيل للوالدة أنها تسمع خطوات (نور) ، وصوت الباب وهو يفتح بالفعل ، ولكن جسدها لم يلبث أن ارتجف بدوْره ، حينما سمعت صوت (نور) واضحًا ، لا يقبل الشك ، وهو يقول :

— أمَّاه !! أبتاه !! كم تسعدنى رؤيتكما !!

استدارت الأم بحدَّة وسرعة نحو مصدر الصوت ، وسرت ارتجافة قوية فى جسدها من أعلاه إلى أدناه ، وهى تحدِّق فى ذلك الشبح الذى ظهر على عتبة الباب المفتوح .

كان من المستحيل تمييز ملامحه فى هذا الركن الشديد الإظلام ، ولكن قلبها نبض فى قوة ، وهتف يخبرها أن هذا الشبح هو ابنها ، بشحمه ، ولحمه ، ووجدت نفسها تشترك مع والده فى صرخة واحدة :

— يا إلهى !! إنه (نور) .. ولدنا .

تقدَّم (نور) منهما بخطوات مرتجفة منهكة ، وسقط الضوء على وجهه ، مبينًا ملامحه التى تنمّ عن إرهاق عنيف ، وحاول جاهدًا أن يبتسم ، ولكن ابتسامته بدت شاحبة ، تنافس وجهه ، ورفع كفّه نحو والديه ، ثم بدا وكأن طاقته قد انطفأت فجأة ، وتمايل جسده ، وتخاذل ، ثم سقط بين ذراعى والده ، فاقد الوعى والإدراك .

* * *

ساعات عدة مرَّت منذ فقد (نور) وعيه .. ساعات طويلة وهو راقد فى فراشه ، وإلى جواره جلست أمه ، تُخلِّل خصلات شعره الناعمة بأصابعها ، وتتأمَّل ملامحه فى حنان ، غير مصدِّقة أن ولدها لم يفارق الحياة بعد ...

شيء ما فى أعماقها منعها من إبلاغ أحد بعودة ابنها ، وشاركها الأب هذا الشعور ، وبقى صامتًا ، متماسكًا ، يدخن غليونه ، ويتأمَّل ولده ، الذى أخذ يَهذى بكلمات متداخلة غير مفهومة فى غيبوبته ، حتى فتح عينيه فى النهاية ...

كانت الشمس قد قاربت الغروب ، حينما استيقظ (نور) من غيبوبته ، وابتسم أخيرًا وهو يتأمَّل ملامح والديه ، وهمس فى حنان :

ـــ كيف حالك يا أمَّاه ؟.. كيف حالك يا أبى ؟

بكت والدته من شدة سعادتها ، وهى تقول :

ـــ فى خير حال يا ولـــدى ، ماذا أصابك أنت ؟.. انتظر .. لا تقصّ شيئًا .. سأعدّ لك أولًا كوبًا من الشاى يساعدك على الانتعاش .

أسرعت الوالدة تعدّ كوب الشاى ، على حين جلس الوالد إلى جوار ابنه ، وقال فى رصانة :

ـــ حمدًا لله على عودتك سالمًا يا بنىّ .

وتشاغل فى إشعال غليونه ، وهو يستطرد :

ـــ إننا لم نخبر أحدًا بعودتك ، لا أحد على الإطلاق ، وأظن هذا أفضل ... أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ حسنًا فعلتما يا والدىّ .. إن الأمر بالغ التعقيد إلى حدّ يصعب معه تصديقه .

عادت الوالـدة مسرعـة بكـوب الشاى ، فتناولـــه منها (نور) ، وشكرها ، ثم أخذ يرشف جرعات الشاى الدافئ فى بطء ورويّة ، ثم لم يلبث أن قال :

ـــ استمع لى يا والدى .. استمعى لى يا أمّاه .. قد يكون ما ستسمعونه منّى بالغ الغرابة ولكنه حقيقة ، كل كلمة فيه حقيقية ، وتحمل الكثير من الخطورة .

أصاخ الوالدان سمعهما فى اهتمام ، على حين رشف (نور) رشفة أخرى من الشاى ، ثم استطرد :

ـــ منـذ خمسة أيـام تقريبـا ، كُلِّفت تحقيـق جريمة قتل غامضـــة ، ذهب ضحيتها عالم آثار يدعى الدكتـور (وليـد عبد الحكيم) ، وكان المتهم فيها صديق قديم لى يدعى الدكتور (فؤاد عيسى) ، ولقد أصرَّ الدكتور (فؤاد) على أن القاتل رجل أزرق اللون ، أحمر العينين بلون الدم .. ودون الدخول فى تفاصيل كثيرة أقول إن هذا التحقيق قد قادنا إلى منطقة جبلية قريبة من قرية تدعى (أولاد عمرو) فى محافظة (قنا) ، حيث

كان الدكتور (وليد) يجرى آخر أبحاثه ، وهناك سمعنا أسطورة تقول بوجود أشباح لهم بشرة زرقاء يجوبون المنطقة ليلًا .. ولقد هاجمنا أحدهم بالفعل ، وأفقدنى وعيى ، وحينما أفقت كشفت أننى الوحيد المحتفظ بذاكرتى ، وأن أصحاب البشرة الزرقاء قد سيطروا على رفاق تمامًا ، ومحوا من ذاكرتهم تفاصيل الصراع فى وادى (أولاد عمرو) ، بل وحوّلوهم إلى أعداء لى ، يحاولون قتلى ، ولقد اشتبكنا أكثر من مرة أنا و (سلوى) ، و (رمزى) ، و (محمود) ، ولكننى تغلّبت عليهم ، ونجحت فى الفرار ، وذهبت إلى الدكتور (حجازى) محاولًا الاستعانة به ، ولكننى فوجئت أنه أيضًا واقع تحت سيطرة الغُزاة .

غمغم الوالد متسائلًا :

ــ الغُزاة ؟! ..

أجابه (نور) :

ــ نعم يا والدى ، فلقد كشفت أن هؤلاء الزُّرق ، ماهم إلا غزاة من كوكب آخر ، يسعون لاحتلال كوكب الأرض ، والسيطرة على سكانه .

غمغمت الوالدة فى دهشة :

ــ ربّاه !!

عاد (نور) يستطرد :

ــ المهم أنهم أشاعوا أمر موتى ، ووجود قاتل يحتل هيئتى ، وبدأ الجميع يطاردوننى بشراسة ، ولا أحد يمنحنى ما يكفى من الوقت لشرح الأمر ، أو حتى لمحاولة إنقاذ الأرض فى صمت .

وارتسم الحزن على وجهه ، وهو يردف :

ــ لقد قتلوا صديقى الفلكى (صبرى) ، قتله (ممدوح) دون أن يدرى .. أنهم يحاربوننى بكل شراسة حتى لا أشكل خطرًا عليهم (*) .

ارتجفت الوالدة رعبًا ، وصاحت بصوت مختنق :

ــ يا إلهى !! (نشوى) ؟!

انتقلت ارتجافتها إلى (نور) ، وهو يسألها فى توتّر بالغ :

ــ ماذا أصاب (نشوى) يا والدتى .. ماذا أصابها ؟

قالت الوالدة فى قلق :

ــ أنت تعلم أن (سلوى) تترك (نشوى) ابنتكما لدينا ، فى كل مرة تُكلّفون مهمة ما ، وهذه المرة تركتها طويلًا ، ثم عادت

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول والثانى من القصة ، وهما المغامرتان (٣٦) و (٣٧) تحت اسمى (الموت الأزرق) و (السماء المظلمة) .

فجأة أمس لتأخذها ، وكانت شاردة النظرات ، قاسية الكلمات ، ولقد قالت حينئذ عبارة لم أفهمها ، ولكننى فهمتها الآن .

صاح (نور) وقد بلغ توتُّره مبلغه :

ـ ماذا قالت يا أُمَّاه ؟

عادت الدموع إلى عينى الوالدة ، وهى تقول :

ـ قالت إن أخذ (نشوى) هو الشىء الوحيد الذى يضمن عودة (نور) .

شحب وجه (نور) ، وقال :

ـ يا إلٰهى !! لقد أخذوا ابنتى ليجبرونى على الاستسلام .

صاح الوالد :

ـ احرص على ابنتك يا ولدى ، لا تدعهم يسيئون إليها .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة ، بدت مخيفة فى آذان والديه :

ـ لو أننى استسلمت فستضيع الأرض حتمًا يا والدى ، وستخسر ابنتى حريتها وكيانها فى كوكب يحتله الجنس الأزرق ، أما القتال فإنه يعنى دائمًا وجود الأمل ، وسأقاتل .. سأقاتل حتى آخر رمق ، من أجل الأرض .

* * *

٢ ـ الوسيط ..

اجتاز المنوم المغناطيسى الشهير البروفيسير (عمَّار طنطاوى) باب منزل والد (نور) ، وهو يضحك ، قائلًا بمرح :

ـ إننى لم أعد أفهمك تمامًا يا (محمود) ، سنوات طوال نكتفى بتبادل التحية ، أو بعض كلمات المجاملة العابرة ، ثم أجدك فجأة تصرّ على اصطحابى لتناول القهوة فى منزلك .. ماذا حدث ؟

أجابه الوالد دون أن يبتسم :

ـ ربما لأننى أحتاج إليك هذه المرة يا بروفيسير .

ضحك البروفيسير (عمَّار) ، وهو يقول :

ـ ولِمَ تحتاج إلىَّ يا (محمود) ؟!! .. هل تريد تنويم زوجتك ، وإجبارها على إجادة الطَّهو ، أو أنك ترغب فى الاستيقاظ من نوم عميق ؟

جاءت الإجابة من على بعد أمتار قليلة ، ومن فم آخر غير فم الوالد ، وبصوت ولهجة مختلفين ، وكانت تقول :

ـ إنه السبب الثانى يا دكتور ..

استدار البروفيسير (عمَّار) إلى مصدر الصوت فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن تراجع فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا للسماء !!.. هل عاد ولدك من موته ، أو أن هذا شبح يا (محمود) .

ثم استطرد صائحًا :

ـ كلَّا .. لقد فهمت .. إنه ذلك المحتال القاتل ، الذى ينتحل شخصيته ولدك رحمه الله و ....

قاطعه (نور) ، قائلًا فى صرامة :

ـ كفى يا بروفيسير .. إننى لن أرغمك على التعاون .. سأثبت لك أننى (نور) الحقيقى ، وسأقص عليك القصة كلها ، ولتفعل ما يحلو لك بعد ذلك .

* * *

ساد صمت حرج طويل بعد أن انتهى (نور) من قصته ، ولم تبد على ملامح البروفيسير (عمار) أيَّة بادرة ، تؤكد أو تنفى تصديقه الأمر بجمله ، وإن اتَّضحت فى انعقادة حاجبيه آثار التفكير العميق ، واحترم الجميع صمته ، فلاذوا به بدورهم ، إلى أن رفع هو رأسه إلى (نور) ، وقال :

ـ هل درست علم النفس يا فتى ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، ثم قال :

ـ القليل جدًّا فى كلية الشُّرطة يا بروفيسير .

اعتدل البروفيسير ، وهو يقول فى هدوء وحزم :

ـ إننى أصدِّقك يا فتى .. أصدِّق كل كلمة مما قلت ، إلَّا إذا كنت خبيرًا بالطب النفسى .

التقت نظرات الوالد والوالدة و (نور) فى دهشة ، قال (نور) :

ـ ماذا يعنى هذا يا بروفيسير ؟

أجابه البروفيسير (عمَّار) وهو يبتسم ، ويهزّ مقعده فى هدوء :

ـ لقد شرحت بدقة نوعًا من السيطرة العقلية ، يعرف باسم (الاحتواء العقلى التام) .. وفى هذه الحالة يفقد الإنسان كل مشاعره السابقة ، حتى الغريزى منها ، كعاطفة الأمومة ، والصدَّاقة ، والحُبّ .. إلخ .. ويتحوَّل إلى نسخة ممن يسيطر عليه عقليًّا ، حتى فى صوته ، وأسلوب حديثه ، وهذا هو نوع السيطرة التى يتبعها الغزاة ، ولم تكن لتصفه بكل هذه الدقة ، ما لم تكن قد رأيته بعينيك .

ثم أشار إلى والدى (نور) ، وهو يتابع باسمًا :

ــ بالإضافة إلى أن والديك هما أقرب الناس إليك ، وما داما يؤكدان أنك هو (نور) الأصلى ، فهذا يعنى أن الأمر أكبر بكثير مما تظن ، أقصد مما يظن البعض .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، وقال :

ــ هل ستعاوننى إذن ؟

نهض البروفيسير (عمَّار) ، وسار نحو (نور) فى هدوء ، ثم صافحه ، وشدَّ على يده فى قوة ، وهو يقول فى إخلاص وعزم :

ــ بكل ما أملك من قوة يا صديقى .

* * *

نظر البروفيسير (عمَّار) إلى ساعته ، ونهض وهو يقول :

ــ إنها الثانية عشرة والنصف ، لقد استغرقنا وقتًا طويلًا لمناقشة الأمر .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ لقد شرحت لك كل ما يتعلَّق برفاق .. هلا أخبرتنى كيف يمكننى تحرير زوجتى ورفاق من السيطرة العقلية لهؤلاء الغزاة ؟

حكَّ البروفيسير ذقنه براحته ، وقال فى حَيْرة :

ــ إننى أخشى سؤالك هذا منذ البداية يا (نور) ، فهذا النوع من أنواع السيطرة العقلية يخضع تمامًا للمسيطر الأوَّل ، بحيث لا يمكن لأحد غيره أن يحرِّر المسيطر عليه من السيطرة ، إلا إذا ....

سأله (نور) فى لهفة :

ــ إلَّا إذا ماذا ؟

هزَّ رأسه فى تردُّد ، ثم أجاب :

ــ إلا إذا تعرَّض المسيْطر عليه لِصدمة ما ، حينئذ يَسْهُل تحريره وهو واقع تحت أثر هذه السيطرة .

عقد (نور) حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ صدمة ما ؟!

ثم تهلَّلت أساريره فجأة ، وصاح :

ــ رائع يا بروفيسير .. لقد وجدت الوسيلة المناسبة ، و ....

وفجأة .. بتر (نور) عبارته ، وعاد وجهه يتجهم ، وهو يقول :

ــ يا إلٰهى !! لقد نسيت أهم النقاط ، إننى لم أعد أعلم أين

أجد هؤلاء الغزاة الزُّرق ، بعد أن غادروا وكرهم فى (أولاد عمرو) .

أجابه والده فجأة ، بهدوء شديد ورصانة ، وهو يشعل غليونه فى بطء :

ــ ستجدهم فى (أسوان) ياولدى ، فى منطقة ما قرب محاجر (أسوان) .. ولو أردت الدِّقة ، فسأقول إنهم هناك فى المنطقة الواقعة خلف بحيرة ناصر تمامًا .

حدَّق (نور) والبروفيسير (عمَّار) فى وجه الوالد بدهشة ، وصاح (نور) :

ــ كيف علمت هذا ياوالدى ؟

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هل كنت تظن نفسك أبرع أهل الأرض ، فى فن الاستنتاج ياولدى ؟..

لقد رتبت الأمور ببساطة ، وتوصَّلت إلى ذلك .

سأله البروفيسير فى دهشة :

ــ وكيف ؟!

نفث الوالد دخان غليونه ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ــ حينما أتت (سلوى) لأخذ ابنتها ياصديقى ، لقد ترك

حذاؤها بعض الغبار الأحمر على درجات السُّلَّم ، كما كانت إطارات سيارتها ملوَّثة كذلك بنفس الغبار .. وهذا النوع من الغبار الأحمر لا يتواجد إلا فى محاجر (أسوان) ، الواقعة خلف بحيرة ناصر تمامًا .. هل رأيتم كم هو سهل هذا الاستنتاج ؟

تأمَّل (نور) ملامح والده ، وكأنه يراها للمرة الأولى ، ثم غمغم :

ــ أنت عبقرى ياوالدى .

ابتسم الوالد وهو يقول :

ــ الأمر لا يحتاج إلى كل هذا الثناء ياولدى .

نهض (نور) ، قائلًا فى حزم :

ــ هل ترافقنى إلى (أسوان) ياسيِّدى البروفيسير ؟

مطَّ البروفيسير (عمَّار) شفتيه ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟.. إننى أحتاج إلى بعض النشاط .

فى تلك اللحظة .. ارتفع صوت دقَّات عنيفة على باب المنزل ، وجاء صوت أجشّ يقول :

ــ افتح الباب ، نحن شرطة (القاهرة) ، ونبحث عن قاتل ينتحل شخصية الرائد السابق (نور الدين) .. لدينا ما يفيد وجوده هنا ، والمنزل محاصر بأكمله .. لا فائدة من الفرار .

* * *

٣ ــ صراع الأقوياء ..

ظهر الجزع على وجوه الوالد والوالدة ، والبروفيسير (عمار) ، والتقت نظراتهم عند وجه (نور) ، الذى قال فى عناد :

ــ لن ينالنى أحدهم حيًّا .

وأعقب قوله بأن انتزع مسدسه اللّيزرى من حزامه ، فأسرع البروفيسير يقبض على معصمه ، قائلًا :

ــ مهلًا يا فتى .. قتال رجال الشُرطة لا يفيد ، وهو لا يشرّف رجل شرطة سابق .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

ــ هل تريد منى أن أستسلم إذن ؟

هزّ البروفيسير رأسه نفيًا ، وابتسم وهو يقول فى بطء :

ــ ولا هذا أيضًا يا بنىّ .. هناك وسيلة أفضل ، وأقل ضررًا .. استمع إلىّ جيّدًا ، وستجدها كذلك .

* * *

فتح والد (نور) باب منزله ، وتطلّع إلى الضابطين الواقفين ببابه ، وقال فى هدوء ، وهو ينفث دخان غليونه :

ــ أيّة خدمة يمكننى تقديمها أيها السيّدان ؟

تقدّم الضابطان إلى الداخل ، ودار أحدهما فى أرجاء المنزل ببصره ، ثم قال :

ــ لماذا لم تفتح الباب على الفور يا سيّد (محمود) ؟

أجابه والد (نور) فى برود :

ــ كنت أشعل غليونى ، وهو يستغرق عادةً وقتًا طويلًا .

تفرّس الضابط فى ملامح الوالد فى ريبة ، ثم قال :

ــ لدينا أمر بتفتيش المنزل .

مطّ الوالد شفتيه ، وأشار بكفّه بلا مبالاة ، وهو يقول :

ــ افعل ما بدا لك ، فيبدو أنكم فقدتم القدرة على تمييز الأمور .

صاح الضابطان فى دهشة :

ــ ماذا تقول ؟!

أجابهما وهو ينفث دخان غليونه مرة أخرى :

ــ إنكم تبحثون عن محتال قاتل ، ينتحل شخصية ولدى ، بعد أن قتله .. فهل تنتظرون أن أخفيه فى منزلى ؟

تبادل الضابطان نظرات الحيْرة ، فقد كان منطق الوالد سليمًا للغاية .. وقال أحدهم فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ـــ إنها الأوامر يا سيِّدى .

وفجأة .. دوّى صوت (نور) يقول :

ـــ أنا الذى سأصدر الأوامر هذه المرة أيها السيِّدان .

استدار الضابطان فى حدّة ، وامتدت أيديهما إلى موضع سلاحيهما ، ولكن نظرة واحدة إلى المسدس الليِّـزرى الـذى يصوِّبه إليهما (نور) ، جعلتهما يتخلَّيان عن فكرة المقاومة ، وقال أحدهما فى غضب :

ـــ مقاومة رجال الشرطة جريمة يا سيد (محمود)

ابتسم والد (نور) ، وقال فى دهشة مصطنعة ، وهـو يسأل البروفيسير :

ـــ مقاومة رجال الشرطة ؟! .. هل رأيت شيئًا من هذا القبيل يا بروفيسير ؟

أجابه البروفيسير فى هدوء ، وهو يتقدَّم من رجلى الشرطة ، وينظر إلى عيونهما مباشرة :

ـــ مطلقًا .. إننى لم أر شيئًا .

شىء ما فى عينى البروفيسير جذب عينى الضابطين تمامًا ، وجعلهما لا يريان من المنزل بأكمله ، سوى عينين واسعتين ، كدوّامتين لا قرار لهما ، وشعر كل منهما أنه يغوص فى العينين حتى الأعماق .. أعماق الأعماق ، وسرى صوت عميق عَبْر آذانهما إلى عقليهما يقول :

ـــ لقد فتشتما المنزل ، ولم تجدا أحدًا ، لقد فتشتماه شبرًا شبرًا ، وستعودان إلى قادتكما ، وتؤكدان عدم وجود أى أثر لـ (نور) أو شبيهه هنا ، ثم سترجعان إلى هنا ، بسيارة من سيارات الشرطة الصاروخية .. ستكونان جواز سفرنا إلى محاجر (أسوان) .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة والنصف صباحًا ، حينما انطلقت سيارة من سيارات الشرطة ، بسرعتها البالغة ستمائة كيلو متر فى الساعة ، إلى خارج القاهرة ، وخلفها سيارة أخرى يقودها البروفيسير (عمار) .

وعند أول طريق الصعيد الصاروخى ، توقفت سيـارة الشرطة ، وتقدَّم منها ضابط أمن ، فحص أوراق الضابطين ، وتأكد من صحتها ، ثم أشار إلى الجسد المتكوم على المقعد الخلفى ، وقال :

ـــ من هذا ؟

أجابه الضابط الأول :

ـ لص نذهب به إلى (المنيا) .

سأله رجل الأمن فى تشكك :

ـ فى مثل هذه الساعة ؟

تصنَّع الضابط الأول الرصانة ، وهو يقول :

ـ سيتم إعدامه هناك مع الفجر .

أومأ رجل الأمن برأسه علامة الفهم ، وقال وهو يشير إليهما بالذهاب :

ـ إننى أفهم مثل هذه الأمور .

انطلقت سيارة الشرطة ، مجتازة نطاق الأمن المقام حول القاهرة .. ولم تكد سيارة البروفيسير تتم إجراءات الأمن ، حتى انطلقت خلف سيارة الشرطة ، والتقت السيارتان بجوار مدينة (بنى سويف) ، حيث توقفتا ، وهبط (نور) من المقعد الخلفى لسيارة الشرطيين ، على حين توجَّه إليهما البروفيسير (عمَّار) ، وحدَّق فى عينهما قائلًا :

ـ ستنسيا كل شىء عما حدث ؟ ستعودان إلى منزليكما ، وتنامان ، ولن تذكرا شيئًا حين استيقاظكما .

أومأ الضابطان برأسيهما إيجابًا ، وانطلقا بسيارتهما فى طريق العودة ، على حين أدار (نور) محركات سيارة البروفيسير قائلًا :

ـ هَلُمَّ بنَا يا بروفيسير ، لقد عَبرنا الحصار ، وعلينا أن ننطلق فورًا إلى هدفنا .

احتل البروفيسير المقعد المجاور لـ(نور) وهو يغمغم فى هدوء :

ـ نعم .. سننطلق إلى حيث غزاة زرق ، قدموا من وراء النجوم .

* * *



٤ ـ الأرض الزرقاء ..

توقّفت سيارة (نور) فى محاجر (أسوان) ، فى تمام الثالثة والنصف صباحًا ، وقفز هو منها فى رشاقة ، ثم أخرج مسدسه الليزرىّ ، وأخذ يتلفّت حوله ، على حين هبط البروفيسير (عمّار) فى قلق وتوتُّر ، ودار حول مقدمة السيارة ، لينضم إلى (نور) الذى همس :

ـ إنهم فى مكان ما هنا يا بروفيسير ، ربما تحت هذه الكومة من الجرانيت ، أو أسفل هذا الجبل ، ولكنهم هنا .

غمغم البروفيسير ، وقد بدأ الخوف يزحف إلى قلبه :

ـ إننا كمن يبحث عن إبرة فى كومة من القش يا (نور) .

أخرج (نور) من جيب سترته مكعّبًا صغيرًا ، وهو يقول :

ـ كلّا يا سيّدى ، إن وضعنا أفضل بكثير ، فقد أفدت كثيرًا من زواجى خبيرة فى الاتصالات والتتبُّع .

سأله البروفيسير :

ـ ما هو الجهاز الذى تحمله ؟

أجابه (نور) ، وهو يضغط زرًّا صغيرًا فى طرف المكعب :

ـ منطقة المحاجر خالية تمامًا من أيّة أجهزة إليكترونية ، خاصة فى الليل ، حيث يتوقف العمل ، فى حين أن وكر الغزاة الزُّرق ، لا بدَّ أن يحوى عددًا ضخمًا من الأجهزة الإليكترونية ، وعمل هذا المكعب الصغير هو كشف التردُّدات الإليكترونية فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات يا سيِّدى .

لم يكد (نور) يتم عبارته ، حتى تحوَّل المكعب فى كفِّه من اللون الأصفر إلى البرتقالى ، إلى الأحمر ، ثم تراصت فوق أحد وجوهه الستة أرقام متتابعة ، ذات لون أزرق برَّاق ، وابتسم (نور) وهو يقول فى انفعال :

ـ ها هو ذا الوكر الجديد يا بروفيسير ، على بعد كيلومتر إلى الشمال الشرقى حيث نقف ، وعلى عمق مائتى متر .. هل رأيت كم هو رائع ذلك المكعب الصغير الذى اخترعته زوجتى (سلوى) .

وبدلًا من أن يسمع (نور) إجابة البروفيسير (عمَّار) ، سمعه يصدر شهقة تموج بالرعب والدهشة ، فاستدار فى حركة

حادَّة إليه ، وشعر بغضب قوى يسيطر على أعماقه .. فهنالك على بعد خطوات منهما ، وقف ثلاثة من الرجال الزُّرق ، وعيونهم الحمراء كالدم ، تحدِّق فيهما بغضب واضح ، وفى كفّ كل منهم استقر مربع شفاف ، من ذلك النوع الذى يطلق الأشعة القاتلة ، وكانت المربعات الثلاثة مصوَّبة إلى (نور) والبروفيسير (عمّار) .

* * *

تحرّكت يد (نور) بسرعة إلى سترته ، وانتزع جهاز التردُّد الصوتى ، وأطلقه نحو المسوخ الثلاثة ، وانطلق الصوت قويًّا ، يصُم الآذان .. ولكن واحدًا من الرجال الزُّرق لم تبد عليه أقل آثار لذلك التردُّد الصوتى ، الذى هزمهم من قبل (*) ، وبدلًا من ذلك ، انطلقت من مربع أحدهم دفعة من الأشعة البنفسجية القاتلة ، أصابت جهاز التردُّد الصوتى ، فتألَّق ، وقذف به (نور) بعيدًا ، قبل أن يمتد الأثر القاتل إليه .. وقبل أن يمس الجهاز أرض المحاجر ، تناثر رماده فى الهواء ..

ارتجف قلب البروفيسير (عمار) ، وتراجع فى ذُعر وهو يشاهد تلك الوجوه الزَّرقاء ، والعيون الحمراء ، وازداد وجله

(*) راجع (السماء المظلمة) .. المغامرة رقم (٣٧) .

حينما تبخَّر سلاح (نور) ، وتحوَّل إلى حفنة من الرماد بعثرها الهواء ، ولكن الرجل كان صلبًا قويًّا بحقّ ، فقد تغلَّب على خوفه بسرعة مذهلة ، وانقض على المسوخ الثلاثة ، وكأنه يظن فى نفسه القدرة على هزيمتهم ، أو يمنح (نور) فرصة الهرب ..

صرخ (نور) فى توتُّر :

ـــ كلَّا يا بروفيسير ....

ولكنه قبل أن يتم عبارته ، رأى البروفيسير بين ذراعى واحد من الغزاة الزُّرق ، على حين رأى الآخرين يطلقان أشعتهما البنفسجية نحوه .. وقفز (نور) جانبًا ، وتفادى دفقة من الأشعة ، وشعر بالثانية تُبخِّر حجرًا ضخمًا بين قدميه ، ورأى البروفيسير يطير فى الهواء ، بعد أن قذف به المسخ الأزرق بقوته الأسطورية ، ويرتطم بحجر ضخم من أحجار المنطقة ، ورآه يسقط على ظهره جاحظ العينين ، فصرخ (نور) :

ـــ لقد قتلتموه ..

وفى نفس اللحظة .. انطلقت نحو (نور) ثلاثة خيوط من الأشعة البنفسجية القاتلة ، ولكنه وجد نفسه يقفز عاليًا ... أعلى مما كان يتصوَّر قدرته بكثير ، ويتفادى الخيوط الثلاثة ، ثم هبط على بعد مترين من الوحوش الثلاثة .. ربما كان هو الغضب



وراَه يسقط على ظهره جاحظ العينين ، فصرخ (نور) :
ـــ لقد قتلتموه ..

الذى دفع بكل هذه القوة فى عروقه ، أو ربما هو الخوف ، أو الكراهية ، ولكنه دون تفكير ، انقض على أقرب الممسوخ إليه ، وكال له لكمة أودعها كل غضبه ، وخوفه وكراهيته ، وراَه يسقط ..

رأى الممسخ الأزرق يهوى إثر لكمته ، ورأى الآخرين يحدِّقان فيما حدث بذهول ..

هو نفسه لم يصدِّق ما فعله ، برغم أن الممسخ الأزرق قد نهض على الفور ، واشترك مع زميليه فى تصويب أسلحتهما إلى (نور) ..

(نور) الذى يكره القتل والدمار ...

والذى يسعى من أجل الأرض ...

تحرَّكت يد (نور) فى سرعة ، وانتزع مربعًا شفافًا ـــ شبيهًا بذلك الذى يمسك به الغزاة ـــ من جيب سترته ، وصوَّبه إليهم ، ثم أطلق أشعته البنفسجية نحو أولهم ، وراَه يتألَّق دون أن يصدر صوتًا .. وقبل أن يفيق الممسخان الآخران من دهشتهما ، أصابتهما أشعة (نور) .. وتألَّقا وهلة ، ثم تلاشيا إلى جوار زميلهما ، وتحوَّل الثلاثة إلى ثلاث حفنات من الرماد ..

* * *

ألقى (نور) جسده على أقرب حجر إليه ، وجلس يلهث كما لو كان يعدو مائة كيلومتر ، وتأمّل المربع الشفّاف الذى قتل به المسوخ الثلاثة ، وشعر برغبة شديدة فى القىء وهو يسترجع لحظات قتله لهم ..

كان يكره القتل إلى درجة عجيبة ..

يكرهه إلى حدّ تفضيل الموت لنفسه ، بدلًا من قتل غيره ...

ولكنه لم يكن يدافع عن نفسه هذه المرة ..

بل كان يدافع عن كوكب الأرض ..

وتنهّد (نور) فى حزن ، وعاد بذاكرته إلى تلك الليلة المشئومة ، حينما لقى صديقه (صبرى) مصرعه على يد (محمود) ، بسلاح كهذا ..

يومها كاد هو يقتل (محمود) ، وانتزع منه هذا السلاح ، بعد أن هزمه ، وها هو ذا يقتل به ثلاثة من الغزاة .

دسّ (نور) المربع الشفّاف فى جيب سترته بحزن ، ثم تحرّك نحو جسد البروفيسير الملقى فوق حجر ضخم ..

أدهشه أن البروفيسير كان حيًّا برغم عموده الفقرى المحطّم ، فأسرع نحوه ، ورفع رأسه بذراعيه ، وهتف :

ـ سأسرع بك إلى أقرب مستشفى يا بروفيسير ، هناك مستشفى رائع فى (أسوان) و ....

قاطعه البروفيسير بإشارة من يده ، وقال وهو يحاول الابتسام فى صعوبة :

ـ لا فائدة يا بنىّ .. لقد تحطّم عمودى الفقرى ، ويدى هذه هى الجزء الوحيد من جسدى ، الذى ما زال يعمل بكفاءة ، باستثناء عقلى وأحشائى .

وتأوّه فى ألم ، ثم استطرد :

ـ كنت أودّ أن أعاونك يا ولدى ، ولكن القدر لم يشأ ذلك .

وابتسم فى صعوبة مردفًا :

ـ لو أننا نمثّل فيلمًا سينمائيًّا ، لكان هذا آخر مشاهده ، و ....

تردّدت الكلمة الأخيرة على لسانه ، وشحب وجهه فى شدة ، وتشنجت عضلاته ، ثم لم تلبث حركته أن همدت ..

أرقده (نور) بهدوء ، ونهض واقفًا ، وحبس شلالًا من الدموع بين الجفن والعيون ، ورفع رأسه يتأمّل النجوم المتلألئة فى

السَّماء ، ثم عاد يتأمَّل الشهيد الثانى من أجل الأرض ، وشعر بفيض من الغضب يسرى فى عروقه ، فرفع قبضته إلى النجوم وصاح فى غضب :

لن تنتصروا ... لن يخضع لكم ملك الأرض .. سأحاربكم حتى يقضى أحدنا نَحْبه .. سأقاتلكم حتى الموت يا من أتيتم من وراء النجوم .





٥ ـــ قلب الأرض ..

توقفت سيارة صاروخية عادية ، أمام فيلَّا صغيرة ، فى حىٍّ ما من أحياء القاهرة وهبط منها رجل وقور ، هادئ الملامح ، رصين الحركة ، توجَّه فى هدوء إلى بوابة منزله ، وسأل الرجل الذى يقف أمامها فى زىٍّ عادىٍّ :

ـــ هل كل شىء على ما يرام يا (محسن) ؟

أجابه الرجل فى لهجة تنمّ عن احترام بالغ :

ـــ كل شىء على ما يرام يا سيِّدى .

ابتسم الرجل الوقور ، وربَّت على كتف الرجل الآخر فى حنان وأبوَّة ، ثم سار فى خطوات هادئة إلى الفيلَّا ، وفتح بابها فى هدوء ، ثم دلف إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه ، وتنهَّد فى عمق ..

لم يكن هذا الرجل سوى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهذا الرجل الآخر الذى يقف أمام الفيلَّا ، واحد من أبرع رجال الأمن فى الإدارة .. ولم يكن شكل الفيلَّا يوحى بأن

قاطنها هو صاحب ذلك المنصب الخطير ، منصب القائد الأعلى لواحدة من أقوى منظمات المخابرات العلمية فى العالم .. ولم يكن هذا النظام البسيط فى الأمن إلَّا مجرَّد ستار ، لنظام أمن معقَّد قوىّ ، من الصعب ، بل من المستحيل تقريبًا أن ينجح إنسان ما فى اختراقه ...

لم تكن هذه سوى مقدمة ، حتى يمكن تصوُّر مدى الصَّدمة التى أصابت القائد الأعلى ، عندما أضاء ردهة الفيلَّا ، وفوجئ



بفوَّهة مسدس ليزرىّ مصوَّبة إلى رأسه ، وخلفها يجلس الرائد (نور) هادئ الملامح ، تطل من عينيه نظرة تفيض بالحزن والأسى ..

* * *

مضت دقائق قاسية من الصمت ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى غضب :

— كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

— إننى تلميذك النجيب يا سيِّدى ، ولا تنس أننى أحفظ كل وسائل الأمن المتبعة لحراسة فيلتك عن ظهر قلب .

ظهر الغضب على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

— أما زلت مصرًّا على انتحال شخصية (نور) ؟. قد يمكنك خداع العالم أجمع ، ولكن نجاحك فى دخول الفيلَّا لن يقنعنى أنك ....

قاطعه (نور) ، وهو يقول :

— لا تدعهم يخدعونك يا سيِّدى ، أنا (نور) الحقيقى .

ابتسم القائد الأعلى فى شجاعة وسخرية ، وقال :

— من هذا الذى يخدعنى ؟.. زوجتك ، أم رفيقاك (رمزى) و (محمود) ؟

ظهر الحزن على وجه (نور) ، وهو يقول :

— كلهم يا سيِّدى .

أطلق القائد الأعلى ضحكة تهكُّمية مريرة ، وقال :

ـ ياله من محاولة سخيفة ساذجة !!

تنهَّد (نور) ، وقال :

ـ استمع إلىَّ أولاً يا سيِّدى ، وبعد أن أقصَّ قصَّتى ، لك أن تفعل ما يمليه عليك ضميرك .

أخذ (نور) يقصّ ما حدث ، منذ قضية الدكتور (فؤاد عيسى) ، حتى دخوله إلى قيلا القائد الأعلى ، الذى أخذ يستمع إليه فى صمت وانتباه ، والشك ينازع الحيْرة فى ملامحه ، إلى أن انتهى (نور) من قصته ، فساد الصمت التام عدة دقائق ، قبل أن يهزّ القائد الأعلى رأسه ، ويقول :

ـ إنها قصة عجيبة ، من الصعب تصديقها أيها الشاب .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لقد واجهنا ما هو أعقد فى مغامرات سابقة يا سيِّدى .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـ ليس إلى هذا الحدّ ، فأنت تطلب منِّى أن أرفض ما قالته (سلوى) ، وما أكده (رمزى) و (محمود) ، وتجاهل فشل أجهزة التحقق من الشخصية فى تأكيد شخصيتك .. عدم تصديق ما أعلنته جريدة (أنباء القيديو) ، وفى الوقت نفسه تطلب منِّى تصديق قصة عجيبة عن عملية غزو لكوكب الأرض بأكمله .

قال (نور) فى هدوء :

ـ ولكنها الحقيقة يا سيِّدى .

قال القائد الأعلى فى جِدَّة :

ـ الحقائق كلها تحتاج إلى أسانيد ، عملنا نفسه يحتِّم ذلك .

نهض (نور) فى هدوء ، وتقدم من القائد الأعلى ، وناوله المسدس اللِّيزرى ، وتناوله القائد الأعلى فى دهشة ، على حين عقد (نور) ساعديه ، وقال فى هدوء :

ـ هأنذا ملك يمينك يا سيِّدى ، ، إننى أراهن بحياتى فى سبيل إنقاذ كوكب الأرض ، وحكمتك فى معالجة الأمر هى ضمانى الوحيد .

رفع القائد الأعلى فوَّهة المسدس اللِّيزرى فى وجه (نور) ، وقال :

ـ من يدرينى أنها ليست مجرَّد خطَّة بارعة ، لتنتمى إلى المخابرات العلمية المصرية كجاسوس ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ هناك وسيلة واحدة يا سيِّدى .

نظر إليه القائد الأعلى متسائلاً ، فأردف فى هدوء :

— الدكتور (محمد حنجازى) .

* * *

تحرّك باب حجرة القائد الأعلى فى هدوء ، ودلف منه الدكتور (حجازى) ، وتقدم من القائد الأعلى ، وصافحه قائلًا :

— خيرًا يا سيّدى القائد الأعلى .. إنها المرة الأولى التى يتم فيها استدعائى إلى مقر القيادة العليا للمخابرات العلمية ، على وجه السرعة ، فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول فى هدوء :

— إننا لا نستغنى عنك أبدًا يا دكتور (حجازى) .. ولقد استدعيتك فى الواقع لعمل غاية فى الأهمية .

سمع الدكتور (حجازى) صوت باب مكتب القائد الأعلى ينزلق فى هدوء ، ولكنه لم يلتفت إليه ، واكتفى بسؤال القائد الأعلى :

— أى عمل هذا ؟

تجاهل القائد الأعلى سؤاله عن عمد ، وهو يتوجّه ببصره إلى القادم الجديد ، قائلًا :

— هل أعددت تقريرك أيها الرائد (نور) ؟

ارتجف جسد الدكتور (حجازى) من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، والتفت فى حدّة إلى حيث يقف (نور) ، وقفز من مقعده ، حينما وقع بصره على وجه هذا الأخير ، وصرخ فى ذهول :

— يا إلهى .. (نور) ؟.. ألم يلقَ حتفه فى ....؟

قاطعه (نور) ، وهو يقول باسمًا :

— ماذا تقول يا دكتور (حجازى) ؟ إننى لم أغادر مبنى الإدارة منذ خمسة أيام .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) دهشة ، والتفت بعينيه إلى القائد الأعلى ، وكأنه يبحث عنده عن جواب لهذا الوضع المفاجئ ، ولكن هذا ابتسم ابتسامة غامضة ، وقال فى هدوء :

— هل أخبرك سادتك الزُرق ما يخالف ذلك يا دكتور (حجازى) ؟

ظهر بريق عجيب فى عينى الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

— سادتى الزُرق ؟

قال (نور) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— نعم يا دكتور (حجازى) .. أولئك الذين يختبئون فى قلب الأرض ، عند محاجر أبوان .

تبدلت ملامح الدكتور (حجازى) فجأة ، وكشر عن أنيابه فى شراسة ، أذهلت القائد الأعلى ، وخرج من بين شفتيه صوت أجش عميق ، لا يمت بصلة إلى صوته الأصلى ، وهو يقول :

ـ لقد حكمتما على نفسيكما بالإعدام لفضولكما الزائد هذا .

وفى حركة سريعة ، أخرج من جيبه مربعًا صغيرًا شفَّافا ، وأطلق منه خيطًا من الأشعة البنفسجية نحو الرائد (نور) .

* * *



٦ ـ العائـد ..

تحرَّك (نور) فى سرعة مذهلة ، ربما لأنه كان يتوقَّع هذا الهجوم المباغت ، فتفادى الأشعة البنفسجية القاتلة ، التى أصابت باب حجرة القائد الأعلى ، وحوَّلته فى لمح البصر إلى كومة من الرماد .. وانقض (نور) على الدكتور (حجازى) ، وأطاح بالمربع الشفَّاف بركلة قوية جدًا ، ثم وجَّه لكمة قوية إلى فكّ الدكتور (حجازى) ، ولكن هذا الأخير تلقَّى قبضة (نور) فى راحته ، وضغطها بقوته التى تضاعفت عدة مرات ، وهو يطلق ضحكة شيطانية عالية ..

شعر (نور) بقبضته تكاد تتحطَّم تحت أصابع الدكتور (حجازى) ، التى تحوَّلت إلى ما يشبه الفولاذ ، ولكنه جمع قوته كلها فى يسراه ، ووجَّه بها لكمة إلى فكّ الدكتور (حجازى) .

أودع (نور) هذه اللَّكمة كل كراهيته ، لسيطرة الجنس الأزرق على عقول سكان الأرض ..

كل رغبته فى انقاذ كوكبه ..

كل حزنه مما أصاب رفاقه وزوجته وابنته ..

وجاءت اللَّكمة كالقنبلة ، وهشَّمت فك الدكتور (حجازى) ، وألقت به بعيدًا ، وأفقدته الوعى على الفور ..

كان حرَّاس الأمن قد أسرعوا إلى الحجرة ، حينما رأوا بابها يتلاشى أمام أعينهم ، فوقفوا مذهولين يراقبون ذلك الصراع ، وشاركهم القائد الأعلى دهشتهم وتوتُّرهم .. وظل الجميع صامتين بعد أن فقد الدكتور (حجازى) وعيه ، ثم تحرَّك (نور) نحوه ، وهو يقول فى جزع :

ــ يا إلٰهى !! لقد تحطَّمت فكّه .. أسرعوا باستدعاء طبيب .

تردَّد حراس الأمن لحظة ، ولكن إشارة من يد قائدهم الأعلى ، جعلتهم يسرعون لتلبية نداء (نور) ، على حين تناول القائد الأعلى المربَّع الشفَّاف ، وقلبه فى يده وهو يقول فى دهشة :

ــ يا له من سلاح رهيب !!

ثم رفع رأسه إلى (نور) ، وقال فى رصانة :

ــ مرحبًا بعودتك إلى صفوفنا أيها الرائد (نور) .

* * *

أغلق القائد الأعلى جهاز التليڤيديو الموضوع أمامه ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال :

ــ اطمئن يا (نور) .. لقد أمكنهم إسعاف الدكتور (حجازى) ، وسيستردّ وعيه بعد قليل .

غمغم (نور) :

ــ ولكنهم لم يجدوا بعد وسيلة لتخليصه من هذه السيطرة العقلية .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ــ إنهم يعملون ليل نهار يا (نور) ، وسيجدون الوسيلة حتمًا .

أومأ (نور) برأسه ، ثم قال فى لهفة :

ــ هل تسمح لى بالذهاب الآن يا سيِّدى ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ مهلًا يا (نور) ، لقد تأكدنا من شخصك ولا ريب ، واقتنعنا تمامًا بوجود هؤلاء الغزاة الزُّرق ، ولكن هذا لا يبرِّر ذهابك إليهم وحدك .

قال (نور) :

ــ هذه هى الوسيلة الوحيدة المضمونة يا سيِّدى ، فلن يمكننا إرسال جيش لقتالهم ، إذ أننا ما زلنا نجهل قوة أسلحتهم ،

وأساليبهم القتالية ، كما أننا لا نعلم كم رجلاً جنّدوه فى الإدارة أو بمعنى أدقّ أوقعوه تحت سيطرتهم .

زوى القائد الأعلى ما بين حاجبيه فى استنكار ، على حين تابع (نور) :

— لا تنس أنهم نجحوا فى إبدال بطاقتى الخاصة داخل الكمبيوتر ، وهذا يعنى بالضرورة وجود عميل لهم هنا .. ومن يدرى ، فلعله سيكون قائد الحملة التى تنطلق لمهاجمتهم .

برغم ما فى قول (نور) من تجريح ، إلا أن القائد الأعلى لم يسعه الاعتراض ، وترك (نور) يستطرد قائلاً :

— الأهم هو أننا لا نعلم عدد وأماكن مراكزهم الأخرى فى العالم ، وربما يؤدى هجوم منظم إلى معرفتهم أننا كشفنا أمرهم ، مما يضطرهم إلى الهجوم المباشر ، الذى ربما يحوّل الأرض إلى مذبحة تسبح فى الكون .

ظل القائد الأعلى صامتًا ، يراجع كل كلمة نطق بها (نور) ، ثم لم يلبث أن قال :

— لا بدّ من إلغاء الأوامر الخاصة باعتقالك على الأقل .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

— خطأ يا سيّدى .. معذرة .. ولكن إلغاء هذه الأوامر سيشير إلى حدوث تغيير ما ، ونحن نقاتل عدوًّا غاية فى الذكاء ، وربما قاده التغيير إلى استنتاج عودتى إلى صفوف المخابرات العلمية .

وصمت لحظة ، ثم أردف :

— لذا ينبغى أن يظل أمر عودتى سرًّا لا يتجاوز حجرتك يا سيّدى ، ورجلى الأمن على بابها .

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقًا ، وقال :

— سيزيد هذا من خطورة موقفك ، ولكن لا بأس ، سأسند إليك المهمة مرة ثانية .

غمغم (نور) :

— سأكون عند حسن ظنّك يا سيّدى .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، وهمّ بالانصراف ، لولا أن أوقفه القائد الأعلى ، قائلاً :

— مهلاً يا (نور) .

استدار إليه (نور) ، فسأله :

— لماذا تصرّ على الذهاب إلى هناك وحدك ؟



إستدار إليه (نور) ، فسأله :

ــ لماذا تصرّ على الذهاب إلى هناك وحدك

صمت (نور) لحظة ، ظهر فيها الحزن واضحًا فى عينيه ، ثم أطرق برأسه قائلًا :

ــ لأن أقل خطإ قد يُودِى بحياة أقرب الناس إلىَّ يا سيِّدى .

وتابع فى صوت يقطر مرارةً وحزنًا :

ــ ابنتى .

* * *



٧ ــ لقاء عالمين ..

تنهَّد (نور) فى عمق ، وهو يوقف سيارته عند محاجر (أسوان) ... كان قد قضى ليلة رهيبة ، اضطر فيها إلى التسلُّل عَبْر الصحراء ، تفاديًا لنقاط المراقبة والأمن ، المنتشرة فى كل مكان حول القاهرة ...

وهبط (نور) من سيارته ، وتحرَّك فى خطوات سريعة ، خفيفة ، رشيقة ، نحو مرتفع صخرى كبير .. وهناك أخرج المكعب الصغير ، وضغط الزِّر الصغير فى طرفه ، ثم انتظر حتى تبدَّلت ألوانه ، وقرأ الأرقام المدوَّنة فوقه ، ثم عاد يتحرَّك فى خفَّة القط ، حتى وصل إلى نقطة أخرى ، فعاد يفحصها ، وينتقل إلى ثالثة ، ورابعة .. حتى ظهرت أضواء الفجر ، وبدأت الشمس تصعد فى بطء إلى السماء .. وفى الخامسة والنصف تمامًا ، عثر (نور) على مدخل المركز الجديد للغزاة الزُّرق .

احتاج الأمر لعدد من العمليات الإليكترونية المعقَّدة ، استغرقت حتى السابعة ، حينما نجح (نور) فى عبور مدخل

المركز ، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها عمال المحجر يتوافدون للعمل ..

توقَّف (نور) مبهوتًا ، يتطلَّع إلى الممر الممتد أمامه .. كان المثير فى الأمر هو أن ما رآه (نور) أمامه هو نسخة طبق الأصل من المخبإ الآخر فى (أولاد عمرو) ، كما لو أن الغزاة قد رفعوه كتلة واحدة ، وأعادوا زرعه هنا ..

وفى هدوء وحذر ، تحرَّك (نور) نحو القاعة الواسعة فى نهاية الممر ، المضاء بلون أزرق شاحب ، واختلس النظر داخلها فى حذر ..

كان كل شىء كما هو تمامًا فى (أولاد عمرو) .. دقَّة مذهلة .. نفس الترتيب ، والشاشات التى تملأ الجدران ، وتنقل مشاهد من كل أنحاء العالم ، نفس الخريطة الضخمة ، والمزيَّنة بالمصابيح الصغيرة ... كل شىء تمَّ نقله كما هو وعلى نفس النَّسق ، مما يثير الدهشة والإعجاب معًا ..

شىء واحد لم يكن هناك ، ألا وهو الرجال الزُّرق ... لم يكن هناك أثر لأى منهم فى القاعة الواسعة .. حتى أن (نور) تجرأ ، ومدَّ عنقه إلى الداخل ، ولم يكد يفعل ، حتى سمع صوت جسم معدنى ينزلق خلفه ، فاستدار فى سرعة ، ورأى أبواب الممر

كلها تحاط بأسلاك زرقاء ، لها نشاط إشعاعى عجيب ، وسمع صوتًا ضاحكًا شامتًا ، ميّز فيه صوت (محمود) — رفيقه السابق — يقول ساخرًا :

— مرحبًا بقدومك مرة أخرى أيها الرائد (نور) ، لقد كنا ننتظرك منذ أوقعت الدكتور (حجازى) .

* * *

لم يكن هناك مكان يمكن اللُّجوء إليه ، سوى الباب المؤدى إلى القاعة الكبيرة ، وكل الأبواب الأخرى أغلقها حاجز من الأسلاك الزرقاء .. ولم يكن أمام (نور) سوى الاستسلام ، أو عبور هذا الباب .. وبلا تردُّد عبر (نور) الباب إلى القاعة فى قفزة واحدة ، ولم تكد قدماه تستقران على أرضها ، حتى تبيَّنت عيناه فجأة تلك الأجسام الزرقاء .. عشرات من الغزاة الزُّرق يملئون القاعة ... برزوا من خلف كل الأجهزة فى القاعة ..

وعاون الضوء الأزرق على إخفاء أجسادهم الزرقاء فى البداية ، ثم ظهروا يحيطون بـ (نور) من كل صَوْب ..

ولو أن رجلًا آخر وقف موقف (نور) هذا ، لسقط مغشيًّا عليه من شدة الرعب والفزع .. ولكن (نور) كان قد اعتاد هذه الوجوه الزرقاء ، والعيون الحمراء بلون الدم ، حتى أنها

لم تعد تفزعه ، كما أنه كان يتوقع الموت فى هذه المهمة ، ولم يكن هناك فى رأيه فارق ، ما بين مصرعه على يد رجل أزرق أو أبيض ..

أدهش تماسك (نور) الغزاة الزُّرق ، وتوقفوا يتأملونه وهو يدير عينيه فيهم فى هدوء ، ثم يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول :

— لست أدرى إذا ما كنتم تفهمون لُغتى هذه أم لا ، ولكننى أقول إن وجوهكم هذه لم تعد تخيفنى على الإطلاق .

تبادل الغزاة نظرات حَيْرى ، ثم عادت عيونهم الدموية تلتقى عند جسد (نور) ، الذى تابع قائلًا :

— إننى لم آت مقاتلًا هذه المرة ، وإنما جئت أعرض السلام .

عادوا يتبادلون نظرات الدهشة ، ثم دار بينهم حديث هو مزيج من الهمهمة والصراخ ، قبل أن يعاودوا الالتفات إلى (نور) فى صمت ، ورفع أحدهم ذراعه عن آخرها فوق رأسه ، وهنا تحرَّك باب صغير فى نهاية القاعة ، وظهر على عتبته (رمزى) ، الذى قال فى هدوء وشماتة :

— إن خدعتك لم تنطل عليهم يا (نور) .

ابتسم (نور) فى ضيق وهو يتأمَّل (رمزى) ، قائلًا :

— هل أصبحت المتحدِّث الرسمى باسمهم يا (رمزى) ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟! إنهم لن يجدوا من هو أقدر منّى على فهم مشاعر وأعماق أهل الأرض .. ولا تنس أن دراستى لعلم الملامح البشرية (الفسيونومى) ، على يد الدكتور (حجازى) قد جعلنى خبيرًا فى دراسة البشر .

أخفى (نور) الحنق البالغ فى أعماقه ، وقال فى هدوء :

ــ ولكننى أتيت حقًّا أعرض السلام .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ــ أى سلام هذا ؟ .. لقد أوقعت الدكتور (حجازى) أمس .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

ــ ماذا تعنى بموضوع الدكتور (حجازى) هذا ؟

قال (رمزى) فى تحدٍّ :

ــ لا تحاول الخداع يا (نور) ، كل رجالنا عليهم إرسال إشارة خاصة ، فى مواقيت محدودة ، ولا يمنعهم من إرسالها سوى الموت ، أو أن تعُوقهم عن ذلك قوة تفوق إمكاناتهم ، ومنذ مساء أمس ، توقف الدكتور (حجازى) عن بثِّ إشاراته .. ولمَّا كنت الوحيد الذى يعلم بانتمائه إلينا ، فقد استنتجنا أنك المسئول .

كاد (نور) يتنهَّد فى قوة ، فقد كشفت هذه الكلمات أنهم لم يعرفوا ما أصاب الدكتور (حجازى) بحق ، ولكنه حافظ على جمود ملامحه وهو يتأمَّل الوجوه الزرقاء ، قائلًا :

ــ لقد هزمت الدكتور (حجازى) بحق ، ولكننى تركته فى منزله فاقد الوعى ، وأتيت إلى هنا أعرض السلام .

ظلت العيون الحمراء بلون الدم تحدِّق فى وجه (نور) دون انفعال ، على حين صاح (رمزى) فى حَنَق :

ــ هل تظننا سذَّج إلى هذا الحدّ أيها الرائد ؟ .. إنك لن تبيع كوكب الأرض بأى ثمن كان ...

قاطعه (نور) ، قائلًا :

ــ ولكننى أشترى ابنتى بكوكب الأرض بأكمله .

صمت (رمزى) فجأة ، وظهرت على وجهه علائم التفكير العميق ، ثم قال :

ــ وما الذى يمنعنا من قتلك ؟ .. لقد أتينا بك إلى هنا بسبب ابنتك ، وليس هناك ما يدعونا إلى الإبقاء عليك حيًّا .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

ــ ربما تفعلون بسبب المعلومات الثمينة ، التى يمكنكم الحصول عليها بواسطتى .

سأله (رمزى) :

ـ أى معلوماتٍ هذه ؟

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ـ كل أسرار إدارة المخابرات العلمية المصرية يا (رمزى) .

أصابت الدهشة (نور) ، حينما سرت همهمة عجيبة بين صفوف الرجال الزُّرق إثر عبارته الأخيرة ، وتساءل فى قرارة نفسه عما إذا كانوا يفهمون لغتنا ، ورآهم ينقلون أبصارهم بين بعضهم البعض ، ثم عادوا إلى صمتهم ، وقال (رمزى) :

ـ إنهم لا يثقون فيما تقول يا (نور) .

قال (نور) فى برود :

ـ إننى بين أيديهم حتى يثقوا فيما أقول .

ابتسم (رمزى) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ إنهم يقبلون إعطاءك ابنتك ، ولكن بمقابل آخر .

بدأ القلق يسرى إلى أعماق (نور) ، وهو يقول :

ـ أى مقابل هذا ؟

أشار (رمزى) بيده إشارة خاصة ، فعاد الباب الصغير خلفه يُفْتَحُ فى هدوء ، وظهر خلفه ظل كبير ، يقبض على كفّ ظل آخر صغير ، ولم يكد (نور) يتبيّن الظلّين ، حتى هتف فى لهفة :

ـ نشوى !!

كان الظل الكبير هو زوجته (سلوى) ، والصغير هو ابنته (نشوى) ، التى لم تكد تراه حتى صاحت فى سعادة ، وهمّت بالعدوِ نحوه كعادتها ، ولكن (سلوى) أوقفتها بقسوة، على حين قال (رمزى) فى دهاء :



ـ المقابل الذى نطلبه هو أنت يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأل :

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

ارتسمت ابتسامة شامتة على شفتى (رمزى) ، وقال فى هدوء :

ـ سيطلق سراح ابنتك ، مقابل أن تخضع لعملية خاصة ، تسقط بعدها تحت سيطرة السادة الزُّرق تمامًا .

* * *

٨ ــ وداعًا يا (نــور) ..

ظلَّ (نور) صامتًا فترة طويلة من الوقت ، ثم عاد يعقد ساعديه ، ويقول :

ــ وماذا لو أننى رفضت هذا العرض ؟

ابتسم (رمزى) فى شراسة ، وقال :

ــ سيكون هذا من سوء حظك يا (نور) .. فلو أنك رفضت هذا سيكون من المحتَّم أن نقتلك ، ولكن بعد أن ترى بعينيك مشهدًا ، ستتمنَّى معه الموت ألف مرة .. سترى زوجتك وهى تقتل ابنتك .

توتَّرت عضلات وجه (نور) ، وهو يتصوَّر ذلك الفعل البشع ، ولاذ بالصمت فترة طويلة .. وفى هذه الفترة أخذ عقله يعمل كعادته ، فاسترجع كل ما مرَّ به منذ بداية المغامرة .

وحاول أن يستنبط العلاقة بين الغزاة الزُرق ، وضحاياهم ..

كانت نجاته تتوقَّف ــ حسبما ظن ــ على معرفة نوع هذه العلاقة ..

وكان على عقله أن يعمل فى سرعة ، وقوة ...

ولكن (رمزى) قطع أفكاره ، وهو يقول :

ــ لن نمهلك كثيرًا حتى تتخذ قرارك يا (نور) .. إننا نريد إجابتك الآن .

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وقال :

ــ إن إجابتى هى النفى يا (رمزى) .

ظهرت الدهشة على وجه (رمزى) ، وهو يهتف :

ــ النفى ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ نعم يا (رمزى) .. النفى .. افعلوا ما بدا لكم ، ولكنكم لن تجبرونى على الخضوع لسيطرتكم مهما كان الثمن .

صاح (رمزى) :

ــ سيكون الثمن هو حياة ابنتك .

قال (نور) فى صرامة :

ــ وقوعى تحت سيطرتكم سيعنى أيضًا حياة ابنتى ، وأبناء الآخرين .. سيعنى حياة كوكب الأرض بأكمله .

سرت الهمهمة مرة أخرى بين صفوف الزُرق ، ثم رفع (رمزى) يده ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لقد حكمت على ابنتك ، وعلى نفسك بالموت .

وفى هدوء ، وبناءً على إشارة (رمــزى) ، أخـــرجت (سلوى) مسدسها اللّيزرى ، وألصقت فوّهته برأس ابنتها (نشوى) ، التى أخذت تتأمّل أمها فى حَيْرة ، وهى لا تفهم مايدور حولها ، وشعر (نور) بمزيج من الاشمئزاز ، والرغبة فى القىء وهو يتأمّل زوجته ، وهى تهم بقتل ابنتها ، ودارت فى رأسه عدة أسئلة ..

أيّة قوة فى الأرض يمكنها أن تدفع أم إلى قتل ابنتها ؟.

أى نوع من السيطرة هذا ، الذى ينزع الغرائز البشرية من قلوب البشر ؟..

أى أرض ستصبح هذه ، لو نجح هؤلاء الغزاة فى السيطرة عليها ؟..

أى جحيم سيصبح فى ظل احتلال من وراء النجوم ؟..

وفجأة .. دوّى صوت (رمزى) عاليًا ، وهو يقول :

ــ ودّع ابنتك يا (نور) .. ووداعًا .. ووداعًا يا (نور) .

* * *

كان الجميع يتوقّعون أى محاولة من (نور) ، لإنقاذ ابنته (نشوى) ، مهما انطوت هذه المحاولة على المخاطرة والانتحارية ،

وبرغم كل الاحتمالات التى وضعوها ، فإن أحدهم لم يتصوّر تلك الخطوة التى أقدم عليها (نور) ...

فقد ترك (نور) زوجته وابنته ، واستدار إلى الرجال الزُرق ، وانتزع من جيب سترته ذلك المربع الشفّاف الصغير ، وأطلق دفقة من الأشعة البنفسجية القاتلة ..

عَبَرت الأشعة بين الرجال الـزُرق ، دون أن تصيب أحدهم ، ثم استقرت فوق أكبر شاشات الرصد ، وحوّلتها إلى رماد مُتناثر .. وهنا أطلق (نور) صرخة عالية ، قائلًا :

ــ افعلى هذا بابنتك يا (سلوى) .. اقتلى ابنتك أيتها القاتلة .

سقط المسدس اللّيزرى فجأة من يد (سلوى) ، وظهرت فى عينيها نظرة ذاهلة حائرة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى خوف شديد ، وهى تتأمّل الوجوه الزّرقاء ، وكأنها تراها لأول مرة .. ولم يكد بصرها يقع على وجه (نور) حتى هتفت وكأنها تستنجد به :

ــ (نور) ..!!

وكأنما أتت هذه الصرخة إيذانًا ببدء الصراع .. فلم يكد صداها يتلاشى فى أرجاء القاعة ، حتى اشتعل القتال فجأة ..

أطلق (نور) أشعة المربع البنفسجية على أربعة من الغزاة ، ولم ينتظر حتى يتلاشوا ، بل قفز فى رشاقة إلى المنصة التى يقف فوقها (رمزى) ، الذى حاول أن يلكمه ، ويلقى به ثانيةً وسط القاعة .. ولكن (نور) تفادى لكمة (رمزى) ، ومال جانبًا ، ثم غاص إلى أسفل ، وانقض فى لكمة كالقنبلة على فكّ (رمزى) ، ثم أعقبها بثانية فى معدته ، وثالثة بين عينيه ، وصرخت الصغيرة (نشوى) ، وقد تملّكها فزع جنونى ، عندما رأت والدها فى هذا القتال العنيف ، وطفقت تبكى فى تشنُّج ، على حين احتضنتها (سلوى) فى حنان وتوتُّر وخوف ، وهتفت تنادى (نور) :

ــ من هنا يا (نور) .. هذا الباب يقود إلى الخارج .

قفز (نور) إلى (سلوى) ، وجذبها وهى تحمل ابنتها ، عَبْر الممر الطويل الذى يقود إلى الخارج ، وانطلقا يجريان ، وكأن أشباح الأرض كلها تطاردهم ، حتى رأوا السماء المضيئة أمامهم ، وبهر نور الشمس عيونهم فى اللحظات الأولى ، ثم هتفت (سلوى) فى سعادة :

ــ يا إلهى !! لقد نجونا .

التقط (نور) ابنته ، وضمّها إلى صدره ، وأخذ يقبّلها فى سعادة ، على حين قالت (سلوى) :

ــ كيف يمكننى أن أشكرك يا (نور) .. لقد حرّرتنى من سيطرتهم ، وأنقذت ابنتنا .

تطلّع إليها (نور) فى حنانٍ ، وحُبّ ، وربّت على كتفيها ، وهو يقول :

ــ كانت مخاطرة شديدة يا عزيزتى ، ولكن الأمر كان يستحق ، فقد تذكرت قول البروفيسير (عمّار) (رحمه الله) ، حينما أخبرنى أن التحرُّر من مثل هذه السيطرة العقلية ، يحتاج إلى صدمة ، وكشفت فى الوقت نفسه نوع العلاقة التى تربط الغزاة بضحاياهم .. إنها تلك الإشارات التى تحدَّث عنها (رمزى) ، فيما يخص الدكتور (حجازى) ، لم تكن إشارات لاسلكية ، أو إليكترونية ، وإنما هى إشارات عقلية ، تربط الغزاة بضحاياهم ؛ لذا قال (رمزى) إنه لا يوجد سوى الموت يمنع الضحية من إرسال الإشارة .

تحسَّست شعره فى حنان ، وهى تقول :

ــ يا لَكَ من عبقرى يا (نور) !!

ابتسم وهو يتابع ، قائلًا :

ــ كان إقدامك على قتل ابنتنا يمثل صدمة كافية لك ، لو أنك تحرَّرت من سيطرتهم لجزء من الثانية ، وهذا ما حاولته ،

حينما شتت انتباههم بالأشعة التى أطلقتها على راصدهم ، ثم صرخت أخرجك من إطار السيطرة .. كنت أراهن بحياتى وحياة ابنتنا ، ولقد نجحت .

ثم أردف وهو يسرع الخطا :

ـــ وأعتقد أنه علينا أن نبتعد كثيرًا حتى لا يلحقوا بنا .

صاحت (سلوى) :

ـــ اطمئن يا (نور) .. لن يمكنهم الخروج فى ضوء الشمس .

التفت إليها وسألها فى اهتمام :

ـــ لماذا تقولين هذا يا (سلوى) ؟

قالت فى انفعال :

ـــ إن أجسادهم لا تحتمل أشعة شمسنا ، فلقد أتوا من كوكب مظلم تقريبًا ، وجلودهم تحترق مع أشعة الشمس ، إنهم كالخفافيش ، لا يرون ، ولا يعيشون إلَّا فى الظلام .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال وكأنه يكرِّر ما سمعه منها :

ـــ لا يعيشون إلَّا فى الظلام .. ولا يحتملون ضوء الشمس .

ثم تهلَّل وجهه ، وصاح فى حماس :

ـــ يا إلهى !! هذا يحل كل شىء يا (سلوى) .. هذا يعطينا القدرة على الانتصار .

سألته وهى تلهث من شدة الانفعال :

ـــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

أطلق ضحكة جذلة عالية ، وهو يقول :

ـــ يبدو أن المعركة قد وصلت إلى لحظاتها الأخيرة يا (سلوى) ، سينتصر كوكب الأرض على الغزاة ، ستنتصر شمسنا عليهم و ....

قطع عبارته صوت صارخ يقول :

ـــ هذا التفاؤل سابق لأوانه يا (نور) ، إنما هى نهايتك ! ونهاية زوجتك وابنتك .

استدار (نور) و (سلوى) إلى مصدر الصوت فى جزع ؛ وهالهما مرأى عدوّهما .. فقد كان الذى يهددهما بالقتل (رمزى) و (محمود) .. عضوا الفريق السابق .

* * *

٩ ـ قتال بلا رحمة ..

تأمَّل أفراد الفريق بعضهم البعض فى صمت ، ثم قال (رمزى) :

ـ ربما كان سادتنا الزُّرق لا يحتملون ضوء الشمس ، ولكننا لسنا كذلك ، ولن نسمح لكما بالخروج من هنا أحياء .

تفجَّر الغضب الذى تموج به أعماق (نور) على لسانه ، وهو يقول :

ـ سادتكم الزُّرق ؟! .. أفيقا قبل أن يتحوَّل هؤلاء المسوخ الزُّرق إلى سادتكم وسادة الأرض بحق .. قاوما سيطرتهما العقلية عليكما ، عودا إلى طبيعتكما الأصلية .

كانت الإجابة التى تلقَّاها (نور) هى دفقتين من أشعة اللِّيزر ، مزَّقت إحداها كم سترته ، ومرقت الأخرى على بعد سنتيمتر واحد من رأس ابنته .. وكان فى هذا ما يكفى لتفجير أعصابه ، فصرخ وهو ينقض فى جرأة منقطعة النظير ، على (رمزى) و (محمود) :

ـ انطلقى يا (سلوى) ، لا تتوقفى عن الجرى مهما كانت الأسباب ، ولا تنظرى خلفك .

تردَّدت (سلوى) لحظة ، وقلبها يرتجف لوعةً وجزعًا على زوجها ، ثم شعرت أنها بذلك تعرِّض ابنتها للموت ، وتحطِّم الجدوى من مبادرة (نور) ، فانطلقت تجرى مبتعدة وهى تهتف فى لوعة :

ـ يا إلٰهى !! (نور) .. ساعده يا إلٰهى .

أما (نور) ، فقد تفادى دفقة أخرى من الأشعة ، ثم قفز نحو (رمزى) ، وهوَى بقبضته على معصم هذا الأخير ، فأطاح بمسدسه الليزرى ، ودار على عقبيه مطيحًا مسدس (محمود) بركلة مُحْكَمة ، ولكن هذا الأخير لكم (نور) لكمة قوية فى صدره ، أعقبها بأخرى فى معدته ، على حين قفز (رمزى) ، مطوِّقًا (نور) من الخلف بذراعين تضاعفت قوتهما .. ولكن (نور) أدار كفَّه إلى ما خلف ظهره ، وقبض على ياقة سترة (رمزى) ، ثم رفعه من خلف ظهره ، وألقاه أمامه بحركة بارعة من حركات رياضة الجودو ، وقفز (رمزى) واقفًا على قدميه فى رشاقة أدهشت (نور) ، وعاود الانقضاض بمعاونة (محمود) ..

كان هذا من أشق الأمور التى واجهت (نور) نفسيًا ، فهو بطبعه يكره العنف والدمار ، ولا يميل إلى استخدام قوته لحل الأمور ، برغم ما يتمتع به من لياقة بدنية عالية ، وإجادة تامة لفنون القتال ، شأنه شأن كل من ينضم إلى المخابرات العلمية المصرية ، وهو فى هذه المرة لا يقاتل أعداءً ، بل اثنين من أصدق أصدقائه فيما سبق ، وهو يعلم أنهما واقعان تحت سيطرة عقلية ، ألغت مشاعرهما السابقة ، وملأتهما بالكراهية والحقد تجاهه ، وتجاه كل سكان مصر .. بل كل بشرىّ على وجه الأرض .

كان عليه أن يتجاهل صداقتهما السابقة ، وكراهيته للعنف والدمار ..

وعليه أن يقاتلهما كعدوّين ، وأن يحاربهما بشراسة ..

من أجلهما .. ومن أجل مصر .. ومن أجل كوكب الأرض بأكمله ..

وقاتلهما (نور) بكل ما يملك من قوة ..

تفادى لكمة قوية من قبضة (محمود) ، وغاص إلى أسفل متفاديًا لكمة أخرى من قبضة (رمزى) ، ثم نهض موجهًا لكمة كالقنبلة إلى فكّ (محمود) ، الذى ترنّح وسقط أرضًا ، ثم استدار إلى (رمزى) ، ولكمه فى معدته بكل ما يملك من قوة ،



كان عليه أن يتجاهل صداقتهما السابقة ، وكراهيته للعنف والدمار وعليه أن يقاتلهما كعدوّين ، وأن يحاربهما بشراسة ..

وعاد يلكمه بين عينيه ، وفى فكّه ، ولمّا رآه يترنّح ، عاجله بلكمة رابعة فى صدره تهاوَى لها (رمزى) .

انحنى (نور) يلتقط مسدس (رمزى) ، حينما اخترقت ذراعه اليمنى أشعة ليزر قوية ، وتدفّقت الدماء من جرحه ، فاستدار بسرعة ، ورأى (محمود) الذى استعاد وعيه ، يصوّب إليه مسدسه الليزرى ، ليطلقه مرة ثانية .. ولكن (نور) قفز جانبًا متفاديًا الأشعة القاتلة ، ثم نقل مسدس (رمزى) إلى كفه اليسرى ، وأطلق أشعته نحو مسدس (محمود) ، فأذاب كرة الطاقة به ، وتغلّب على ألمه وهو يقفز نحو (محمود) ، ويركله فى فكّه ركلة قوية ، جعلت رأس (محمود) يرتطم بالصخر خلفه ، فيسقط فى غيبوبة عميقة ، وتسيل الدماء من فروة رأسه ..

شعر (نور) بقلبه يتمزّق مما فعله بصديق عمره ، ولكنه كان يعلم أن كل دقيقة تضيع قد يكون ثمنها عمر الأرض كلها ، فترك صديقيه السابقين ، وانطلق يجرى متجاهلًا الدماء التى تسيل من جرحه ، نحو منطقة المحاجر ..

* * *

كان عمال المحاجر منهمكين فى أعمالهم ، حينما صاح أحدهم فى دهشة :

— يا إلٰهى !! انظروا يا رجال !!

استدار العمال إلى حيث أشار زميلهم ، واتسعت عيونهم دهشة ، فقد رأوا (سلوى) تعدو ناحيتهم وهى تحمل طفلتها الصغيرة ، وعلى وجهها أبشع آيات الرُّعب والهلع ..

أسرع الجميع إليها مدفوعين بالشهامة المصرية المعروفة ، ولم يكد أولهم يقترب منها حتى صاحت فى ذعر :

— أنقذوه .. أنقذوا زوجى .. إنهم سيقتلونه .

نظر إليها الجميع فى دهشة ، وهتف أحدهم :

— ما الذى أتى بك إلى هنا يا سيِّدتى ؟ وماذا كنت تفعلين خلف هذا المرتفع الصخرى ؟

صاحت وهى تبكى ، وتشير إلى المرتفع الصخرى فى رعب :

— أسرعوا أولًا هناك ، سيقتلون زوجى .

ربَّت أحدهم على كتفها محاولًا تهدئة روعها ، وسألها :

— من هو زوجك يا سيِّدتى ؟.. ومن هؤلاء الذين يسعون إلى قتله ؟

صرخت فى مرارة :

— أصحاب البشرة الزرقاء .. غزاة الأرض .. أسرعوا بالله عليكم .

تبادل العمال النظرات فى دهشة ، وهزَّ بعضهم رأسه فى إشفاق ، وقد تصوَّر أن (سلوى) مصابة بالجنون ، على حين قال آخر :

ــ اهدئى يا سيِّدتى ، سننقذ زوجك .. اطمئنِّى .

ولم يكد يتم عبارته حتى صاح آخر :

ــ يا إلهى !! ها هو ذا

استدار الجميع إلى المرتفع الصخرى ، فرأوا (نور) يسرع نحوهم ، وذراعه تقطر دمًا ، ووجم الجميع وهم يراقبون ما يحدث .. ولم يكد (نور) يقترب منهم ، حتى صاح أحدهم فى ذهول :

ــ يا إلهى !! إنه ذلك القاتل المحتال ، الذى تظهر صورته يوميًا على شاشة (أنباء الفيديو) .. إنه ذلك الرجل الذى يطلبون إلقاء القبض عليه صباحًا ومساءً .

تألقت عيون العمال جميعهم ببريق المعرفة ، والتقت مشاعرهم جميعًا عند (نور) ، وكانت كلها تفيض بالعداء .

* * *

١٠ ــ الموت من أجل الحياة ..

شىء ما أوقف قدمى (نور) فجأة ، ومنعه من مواصلة العَدْو على بعد أمتار قليلة من عمال المحاجر ..

ربما هى نظرات العَداء التى تفيض من عيونهم ..

أو هى تلك القبضات المضمومة والمستعدة للقتال ..

أو هو ذلك التحذير الذى انطلق فجأة من عقله الباطن ..

ربما كان هذا أو ذاك .. المهم أن (نور) توقَّف ..

أشار (نور) بيده التى تمسك المسدس الليزرى ، نحو المرتفع الصخرى ، وقال :

ــ إننى أحتاج إلى معاونتكم يا رجال لإنقاذ الأرض .

تصاعدت من وسط العمال صيحة تقول :

ــ إنه هو ولا ريب ..

وأعقبتها ثانية :

ــ لا تدعُوه يخدعكم .

اندفعت (سلوى) نحو زوجها ، وتحسَّست ذراعه المصابة فى جزع ، وهى تهتف :

ـــ ماذا أصابك يا (نور) ؟

ربَّت (نور) على كتفها مهدِّئًا ، دون أن تفارق عيناه ذلك الجمع ، الذى يزيد على مائة عامل ، وسمع أحدهم يهتف محنقًا :

ـــ حطِّموه يا رجال .. أسرعوا بإلقاء القبض عليه .

صرخت (سلوى) فى وجوههم :

ـــ ماذا تقولون أيها الحمقى ؟.. هذا الرجل هو أملكم الوحيد فى حياة حرة كريمة .. إنه يقتطع جسده قطعة قطعة من أجل كوكب الأرض .

ارتسمت الدهشة فى وجوه بعض العمال ، وارتسمت السخرية على شفاه البعض الآخر ، ثم انطلقت من وسطهم صرخة :

ـــ لا تتسمَّروا هكذا .. ألقوا القبض عليهما .

سرت تلك الصيحة الأخيرة كالنار فى الهشيم ، وسط العمال ، فانطلق من حناجرهم صراخ واحد قوى ، غير مفهوم ، واندفعوا نحو (نور) و (سلوى) .

★ ★ ★

كان من المؤلم أن يفشل (نور) بسبب المصريين ، بعد أن قطع كل هذا الشوط ..

بعد أن أعاد انتماءه الرسمى إلى المخابرات العلمية المصرية ..

بعد أن حرَّر زوجته من سيطرة الغزاة ..

بعد أن أنقذ ابنته ..

لم يكن هناك مجال للاستسلام ، وكان لابدَّ أن يقاتل ، حتى ولو قتل العشرات ، لابدَّ له من أن يقتل فى سبيل الحياة .. حياة كوكب بأكمله ..

وبلا تردُّد .. رفع (نور) فوهة المسدس الليزرى فى وجوه العمال المائة ، وانطلقت أشعة الليزر تشق الهواء مرة ، وثانية ، وثالثة ، وعاشرة .. وسقط عشرة رجال بإصابات مختلفة ليست بينها واحدة قاتلة ، وتوقَّف الآخرون وقد رأوا أن خصمهم مستعد للقتال حتى آخر أنفاسه .. وظل مسدس (نور) مصوَّبًا إليهم ، وذراعه الأخرى تصنع بركة من الدماء أسفلها ، وبدا الموقف مشحونًا بالخطر للغاية ، حتى أن (نور) رأى حسمه بسرعة ، فقال بلهجة آمرة :

ـــ أريد بعض الأقراص المتفجِّرة على الفور .

لبَّى أحد العمال الأمر ، وأحضر عددًا لا بأس به من الأقراص المتفجِّرة ، وجهاز التفجير الصغير الخاص بها ، على حين بقى الآخرون يزمجرون ، ويهمهمون ، دون أن يقدم

أحدهم على مهاجمة (نور) مرة أخرى ، بل إن البعض الآخر انشغل فى تضميد جراح المصابين العشرة ، دون أن يحاول واحد منهم مداواة جراح (نور) ، الذى تناول الأقراص المتفجِّرة ، وجهاز التفجير ، وهو يقول :

ــ صدِّقونى .. كل هذا من أجلكم .

ثم ناول المسدس الليزرى إلى (سلوى) ، وقال :

ــ لا تتردَّدى فى إطلاق أشعته يا عزيزتى ، وصدِّقينى .. كل هذا من أجل كوكب الأرض .

غمغمت وهى تتأمَّل ذراعه المصابة فى قلق :

ــ دعْنا نضمد جراحك أولًا يا (نور) .

ابتسم فى مرارة ، وهو يقول :

ــ حينما ننتهى يا عزيزتى .

ثم انطلق يعدُو عائدًا إلى المرتفع الصخرى ، وعيون الجميع تتابعه فى حَيْرة ودهشة ، دون أن يخطر ببال أحدهم أن هذا الشاب ، هو أفضل مخلوق على وجه الأرض ، فى الـــوقت الحالى ..

* * *

نسى (نور) أو تناسى جرحه الغائر ، والدماء التى تنزف

منه بَغزارة ، وانهمك فى تثبيت الأقراص المتفجِّرة ، وهو يرتِّبها على نحو مدروس ، وانطلق عقله يراجع الخُطَّة التى يعتمد عليها فى عمله هذا ..

كان يعلم أن الغزاة الزُّرق لا يحتملون ضوء الشمس ؛ لذا فقد قرَّر أن ينسف سقف وكرهم تمامًا ، بحيث تغمرهم أشعة الشمس ، وتقضى عليهم ..

دار فى خلَدِه أن هذا ما يحدث عادةً فى أفلام مصاصى الدماء ، ثم عاد ينفض هذا الرأى وهو يغمغم :

ــ إن ما تعيشه حقيقة يا (نور) .. حقيقة تثير الفزع أكثر من الخيال ..

جفَّف عرقه بعد أن انتهى من عمله ، ونهض يتأمَّل العمل فى اهتمام ، وعاد يغمغم :

ــ سيتناثر السقف قطعًا صغيرة ، وأعتقد أنه لن يؤذى أحدًا من أهل الأرض .

ثم استدار عائدًا ، وفى نفس اللحظة اخترقت فخذه اليسرى أشعة ليزر قوية ، فتخاذلت ساقاه ، وسقط على ركبتيه ، ورفع عينيه يتطلَّع فى دهشة إلى مهاجمه ، فوجده (رمزى) وقد استعاد وعيه ، وعيناه تطلَّان بالشرِّ ، وهو يقول فى صوت جهورى ناقم :

ـ لن تنجح فى هذا ، مادام فى جسدى عرق ينبض .

ثم أردف وهو يصوِّب مسدسه الليزرى مرة ثانية نحو (نور) المصاب ، الأعزل :

ـ سأقتلك يا (نور) .. سأقتلك من أجل حياة سادتى الزُّرق .

* * *



١١ ـ الخطوة الأخيرة ..

صرخت (سلوى) ، حينما شاهدت (رمزى) يهاجم زوجها الأعزل ، فتركت ابنتها أمام العمال ، الذين تملَّكتهم الدهشة ، وصاحت وهى تعدُو نحو المرتفع الصخرى .

ـ إنى آتية يا (نور) .

انفجرت الصغيرة تبكى ذعرًا وجزعًا مما يحدث ، على حين تسمَّر عمال المحاجر ، ولم يحاول أحدهم التدخل فيما يحدث ، وقد حارت عقولهم فيه ..

وفى نفس الوقت ، أطلق (رمزى) دفقة أخرى من الأشعة نحو (نور) ، الذى دفع جسده بساقه السليمة ، متفاديًا مسار الأشعة القاتلة ، وسمع (رمزى) يقول فى غيظ :

ـ لن تنجو طويلًا يا (نور) .. سأقتلك إن عاجلًا أو آجلًا .

دارت بخلَدِ (نور) فكرة واحدة فى هذه اللحظة .. أن ينسف السقف ، فيتعرَّض الغزاة الزُّرق لضوء الشمس ، ويفقدون سيطرتهم العقلية على (رمزى) ، وكانت هذه الخطوة

تعنى موته حتمًا ، فهو يجلس فوق السقف الذى يريد نسفه تمامًا .

وبرغم هذا اتخذ (نور) قراره بنسف السقف ، لولا أن وقع بصره على (سلوى) التى تعدو نحوه فى جزع .. وهنا انتفض جسد (نور) فى قوة ، وخشى أن ينسف السقف ، فتصاب (سلوى) ببعض الشظايا المتناثرة ، وخشى أيضًا أن ينتبه إليها (رمزى) ، فيرميها بأشعة مسدسه .. وكان لا بدَّ من الاستئثار بانتباه (رمزى) تمامًا ..

حمل (نور) صخرة كبيرة بيسراه ، وألقى بها نحو (رمزى) فى قوة ، ولكن هذا الأخير تفاداها فى مهارة ، وأطلق أشعته فى إحكام ، واخترقت الأشعة ساعد (نور) اليسرى هذه المرة ، فصرخ :

ــ كفى يا (رمزى) ، عُدْ إلى وعيك .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة عالية ، ثم أطلق مسدسه مرة ثالثة ، وجاءت الأشعة هذه المرة بين قدمى (نور) ، الذى تعلَّق بصره بزوجته (سلوى) ، التى أصبحت على بعد أمتار قليلة من (رمزى) ، ورآها تتوقف ، وتصوِّب مسدسها إلى هذا الأخير ، فصرخ :

ــ كلَّا يا (سلوى) .. لا تقتليه .

استدار (رمزى) بسرعة مع هذا التحذير ، وشهر مسدسه فى وجه (سلوى) ، ولكن أشعة مسدسها هى كانت الأسبق ، واخترقت صدر (رمزى) ، الذى جحظت عيناه لحظة ، ثم سقط دون حراك .

* * *

قفز (نور) على ساق واحدة نحو زوجته ، التى بدت ذاهلة واجمة وهى ما تزال تصوِّب مسدسها إلى حيث سقط (رمزى) ، وعلى وجهها علامات أسى وحزن وخوف ورعب .. ولم يكد (نور) يقترب منها حتى غمغمت ، وهى تتطلَّع إليه فى ضراعة :

ــ لقد كان ذلك ضروريًّا يا (نور) ، لقد كنت أنقذك منه .. أليس كذلك ؟

ربَّت على كتفها ، وقال فى صوت مشفق :

ــ نعم يا عزيزتى .. كان هذا ضروريًّا .

ثم اعتمد بذراعه على كتفها ، وقال :

ــ هيَّا بنا نبتعد عن هنا ، فلا ريب أن إشارات عقل (رمزى) قد توقفت ، وسيعلم هؤلاء الغزاة أننا هزمنا من أرسلوهما خلفنا ، ولا أحد يدرى ما يمكن أن يقدم عليه هؤلاء الزُّرق .

سألته وهى تعاونه على الابتعاد ، بساق مصابة ، وذراعين عاجزتين :

ـ ألن تؤدى خطتك هذه إلى تحذير باقى مراكزهم فى العالم ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا يا عزيزتى ، سينفجر السقف حقًّا ، ولكن خريطتهم ستبقى سليمة ، وسنحذر العالم أجمع فى دقائق معدودة .. ولتكن حربًا معلنة ، بدلًا من غزو خفىّ .

توقفت (سلوى) وهى ترى العمال يتوجَّهون إليهم ، وقالت :

ـ تُرى .. للمعاونة قدموا أم للمقاتلة ؟

وفجأة .. جاءت من خلفها دفقة من أشعة الليزر ، أذابت فوَّهة مسدسها ، فالتفتت هى و (نور) فى فزع ، واتسعت عيونهما دهشةً ، فقد كان (رمزى) منتصبًا هناك ، حيث سقط من قبل ، والدماء تسيل من ثقب فى جانب صدره الأيمن ، وفوق عينيه نفس نظرات الحقد والكراهية ، ومسدسه مصوَّب إليهما ..

دفع (نور) زوجته بعيدًا ، وحاول أن يقفز جانبًا ، ولكن محاولته أتت متأخرة ، إذ أصابت أشعة الليزر الثانية التى أطلقها

(رمزى) جانبه ، ومرقت منه إلى ما خلف ظهره ، واندفعت دماء قوية غزيرة من الثقب الحادث ..

لم يحتمل جسد (نور) ـ برغم قوته ـ كل هذه الإصابات ، ولا كل هذه الصدمات ، والمفاجآت ، فسقط أرضًا ، وأفلت من أصابعه جهاز التفجير الذى سقط تحت قدمى (سلوى) ، ورفع رأسه فى ضعف ، فرأى (رمزى) يصوِّب مسدسه إلى (سلوى) ، وهو يهم بقتلها أيضًا ، فصاح فى جزع :

ـ جهاز التفجير يا (سلوى) .. انسفى السقف .

انحنت (سلوى) فى سرعة ، والتقطت جهاز التفجير ، وتفادت بهذه الانحناءة المفاجئة أشعة الليزر التى أطلقها (رمزى) نحوها ، وسمعت (نور) يصرخ فى ضعف :

ـ انسفى السقف يا (سلوى) .

وفى توتُّر بالغ ، وانفعال شديد ، ضغطت (سلوى) الزرَّ الأحمر فى جهاز التفجير ، ودوَّى فى منطقة المحاجر انفجار يصم الآذان .

* * *

تسمَّر عمال المحاجر فى ذهول حينما دوَّى الانفجار ،

وتصلَّب (رمزى) فجأة ، كما لو كان جهازًا انتزع مصدر طاقته ، ثم سقط المسدس الليزرى من يده ، وهوى متكومًا على الأرض ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها من التجويف الناشئ عن الانفجار صوت ، ارتجف له قلب (سلوى) ، وقلوب عمال المحاجر جميعهم ..

صوت كأنين قطيع من الأفيال دفعة واحدة ..

أو هو صرخة ألم وعذاب من حناجر سكان مدينة كاملة ..

المهم أنه أكثر الأصوات المعبِّرة عن الألم واليأس رعبًا فى الكون ..

واستمرت هذه الأصوات دقائق طويلة ، حتى أن عمال المحاجر أسرعوا إلى الفجوة التى أحدثها الانفجار ، وفضولهم يسبق قلقهم .. ولم يكد بعضهم يتطلع إلى الداخل ، حتى تراجع فى رعب ، ثم ملكه الاشمئزاز ، وأخذ يقىء فى قوة .. ولمَّا أراد الآخرون معرفة ما أصابه ، سرت فيهم الأعراض نفسها .. فهناك فى ذلك التجويف رقد عدد من الرجال زُرق البشرة ، حُمر العيون ، وقد تصاعدت من جلودهم أبخرة خضراء ، وجحظت عيونهم الدموية ، وكأن أشعة الشمس تشويهم شيًّا .

وأسرعت (سلوى) نحو زوجها ، الذى رفع رأسه إليها فى ضعف ، وقال :

ـــ أحضرى (نشوى) .

أسرعت (سلوى) تحضر ابنتها الصغيرة ، التى تشبَّثت بعنقها فى ذُعر ، وحملتها إلى (نور) ، الذى ابتسم ابتسامة شاحبة ، كوجهه الذى حاكى وجوه الموتى ، وهو يتحسَّس شعر ابنته ، ثم قال فى اهتمام :

ـــ لقد نجحنا يا (سلوى) .. ستنمو ابنتنا فى كوكب حرّ .

بكت (سلوى) ، وهى تقول :

ـــ لا تتحدَّث طويلًا يا (نور) ، استرح و ....

قاطعها قائلًا :

ـــ لابدَّ من إبلاغ إدارة المخابرات العلمية على الفور .. استخدمى جهاز التليفيديو فى حجرة مدير المحاجر ، لابدَّ يا (سلوى) .

قالت وهى تحاول منع دموعها التى سالت غزيرة :

ـــ سأفعل يا (نور) ، سأفعل على الفور .. أعدك بذلك .. سيعود كل شىء كما كان يا (نور) .. كل شىء .

ابتسم ابتسامة واهنة ، وقال فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـــ كل شىء ؟!.. كيف يا عزيزتى ؟.. الدكتور (حجازى) ،

و (رمـزى) ، و (محمـود) ، والدكتـور (صبرى) ، والبروفيسير (عمَّار) .. كلَّا يا عزيزتى ، لقد تغيَّر كل شىء ، ولن نعود أبدًا كما كُنَّا .. لن نعود أبدًا يا (سلوى) .

انتهى من عبارته ، ثم أغلق عينيه وتراخى جسده تمامًا ، وانطلقت صرخة ألم وذُعر من أعماق (سلوى) ..

* * *



١٢ ــ الختــام ..

ارتفعت زقزقة الطيور حول المستشفى الطِّبِّىِّ الفاخر فى قلب القاهرة ، وأشارت عقارب الساعة إلى السابعة صباحًا ، عندما عَبَر الدكتور (فؤاد عيسى) أحد ممرَّات المستشفى الضخمة ، حتى توقف أمام ردهة الانتظار ، وتعلَّقت عيناه بشابة تحمل طفلة صغيرة ، وتجلس شاردة فى أحد مقاعد ردهة الانتظار ، فاقترب منها ، ومدَّ يده يصافحها قائلًا :

ــ صباح الخير يا سيِّدة (سلوى) ، لعلك تذكرينني .. أنا الدكتور (فؤاد عيسى) .

رفعت إليه عينين جامدتين ، وتأمَّلته لحظة ، ثم غمغمت :

ــ وكيف لا أذكرك يا دكتور (فؤاد) ؟!.. لقد بدأت القصة كلها من عندك .

جلس على المقعد المجاور لها صامتًا ، وقال بعد فترة تتجاوز الدقائق العشر :

ــ إننى أدين للرائد (نور) بالفضل ، فى تبرئتى من تهمة القتل هذه يا سيِّدتى .

ابتسمت ابتسامة شاحبة دون أن تنطق بكلمة ، فشعر الدكتور (فؤاد) ببعض الحرج ، وسألها فى صوت خافت :

ـــ كيف حاله ؟!.. كيف حالهم جميعًا ؟

هزّت رأسها فى أسف وأسى ، وشعر هو أنها تبذل مجهودًا خارقًا لتتحدث ، حتى أنه مضت فترة طويلة من الوقت ، قبل أن تقول :

ـــ حمدًا لله على هذه النهاية .

ثم بدا وكأنها ضاقت بما يجيش به صدرها ، فانفجرت باكية ، وهى تقول :

ـــ تصوَّر أننى كدت أقتل (نور) أكثر من مرة ، وأنا تحت سيطرة هؤلاء المسوخ الزُّرق .. بل إننى كدت أقتل ابنتى نفسها ، و (محمود) قتل الدكتور (صبرى) ، و (رمزى) والدكتور (حجازى) كادا يقتلان (نور) مرتين على الأقل ، ماذا أصابنا جميعًا ؟. لقد لاقى (نور) منّا الكثير .

هدَّأ الدكتور (فؤاد) روعها ، وقال :

ـــ لم يكن أحدكم فى وعيه يا سيِّدتى ، وليس المرء بمسئول عما يفعله خارج نطاق عقله الواعى .

أومأت برأسها وهى تجفف دموعها ، قائلةً :

ـــ ربما كنت على حق .

عاد يستطرد ، وكأنه يمحو من نفسها الحزن :

ـــ لقد تعاون العالم كله كيد واحدة لأول مرة منذ بدء الخليقة .. فلم تكد مصر تبلغ دول العالم بوجود الغزاة الزُّرق ، وترسل إلى كل دولة خريطة تبيِّن مواقع الغزاة فى أرضها ، حتى شنَّ العالم هجومًا واحدًا مركزًا ، على كل مواقع الزُّرق ، ودكَّها دكًّا ، مما حكم على محاولة غزو العالم بالفشل .. بل لقد أفاد العالم كثيرًا بالعلوم المتطوِّرة لهؤلاء الغزاة ، وسيعمل جاهدًا لمنع أى غزو آخر فى المستقبل .

غمغمت وكأن الأمر لم يعد يعنيها :

ـــ هذا حسن .

ابتسم الدكتور (فؤاد) فى حزن ، واستطرد :

ـــ ولقد كان للمعلومات التى جمعها (نور) الفضل الأوَّل فى القضاء على الغزاة الزُّرق .. ولقد منحته كل دول العالم وسام الشجاعة من الطبقة الأولى ، وأقيمت له التماثيل فى مختلف عواصم العالم .. إن شابًّا فى عمره لم يبلغ مثل هذه الشهرة قط .

غمغمت فى سخرية مريرة :

ـــ عمره ؟!!

شعر الدكتور (فؤاد) بالقلق يسرى فى أعماقه ، فهتف :

ـ خبّرينى ما أصابه بحقّ السماء .

رفعت إليه (سلوى) عينين حزينتين ، وقالت وهى تضم ابنتها وكأنها تجد العزاء فى قربها :

ـ الدكتور (حجازى) و (محمود) هما أقل المصابين ، ولقد خيط فك الأول ، وعولج رأس الثانى .. ولكن (محمود) مصاب بانهيار عصبى عنيف ، فقد كشف فور تحرُّره من سيطرة الزُّرق ، أنه قد تحوَّل يومًا إلى قاتل ، والدكتور (حجازى) مصرّ على التقاعد ، وهو يدَّعى أنه لم يعد يصلح للعمل طبيبًا شرعيًّا ، بعد أن حارب العالم كله ، وحاول قتل (نور) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية .. أما (رمزى) فإصابته خطيرة نوعًا ما ، فقد أطلقت عليه أنا أشعة الليزر ، وكدت أقتله ، لولا أن مرقت الأشعة على بعد سنتيمترات من قلبه ، ولم تمزّق أيًا من الأوعية القلبية الكبيرة ، والأطباء يقولون إنه سيشفى .

سألها الدكتور (فؤاد) ، وقد بلغ توتُّره ، وقلقه مبلغيهما :

ـ و (نور) ، ماذا أصاب (نور) ؟

تطلَّعت إليه فى صمت ، وسالت من عينيها دموع غزيرة ، وهى تقول :

ـ لا أحد يدرى ماذا أصابه ؟ ولا ماذا يمكن أن يصيبه ؟ فهو فى غيبوبة عميقة منذ أسبوع كامل ، وهم يقولون إن نشاط مخه طبيعى ، وإن أجهزة جسمه ، ومراكزه الحيويَّة تعمل فى كفاءة ، ولكنه فاقد الوعى ، وهذه هى الحالة الأولى من نوعها فى العالم .

سألها الدكتور (فؤاد) فى دهشة :

ـ ماذا يعنى هذا ؟

أجابته وهى تهزّ رأسها نفيًا :

ـ لست أدرى يا سيِّدى .. لا أحد يدرى .. إنها أغرب غيبوبة يواجهها العلم والطب .. إنها حالة خاصة جدًا على حدّ قولهم .

سألها وقد بدأت دموعه تسيل بدورها :

ـ وهل .. هل سيشفى ؟

أخفت وجهها بكفَّيها ، وأجهشت ببكاء حار ، وهى تقول :

ـ من يدرى ؟ .. ربما يستيقظ الآن ، وربما يقضى عمره كله متأرجحًا بين الحياة والموت هكذا ... ربما قُدِّر له ألا يستمتع بهذا العالم الذى أنقذه من الاحتلال والقهر ، ولا بانتصاره ، بعد أن هزم الموت الأزرق ، الذى جاء إلينا بالسماء المظلمة ، من وراء النجوم .

* * *

[تمت بحمد الله]